أجاثا كريستي

ثلاثة فئران عَمْياء

دار النجمة للنشر والتوزيع

ثلاثة فئران عَمْياء

بسم الله الرحمن الرحيم

أجاثا كريستي

ثلاثة فئران عَمْياء

دار النجمة ★ للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:

دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

الفصل الأوّل

كان البرد شديداً والسماء مظلمة ملبّدة بالغيوم، وكان هناك رجل يسير ببطء في شارعِ كالفر وهو يرتدي معطفاً أسود ويحيط أسفل وجهه بشَملة من الصوف ويرخي حافة قبّعته على جبينه، وأمام المنزل رقم ٧٤ توقّف الرجل لحظة ثم ارتقى الدرَج وضغط زرّ الجرس وسمع الرنين في الطابق الأرضي. وكانت الآنسة كاسي تغسل الأطباق في المطبخ حين سمعت رنين الجرس فقالت بضيق: يا لهذا الجرس! إنه لا يكفّ عن الرنين ولا يدعني أستريح.

ثم تركت الأطباق وارتقت الدرَج الداخلي وفتحت الباب فبدا لها الرجل أشبه بظلّ من السماء المكفهرّة. سألها الرجل بصوت خافت أشبه بالهمس: هل أنت السيدة ليون؟

فأجابت الآنسة كاسي: هي في الطابق الثاني وفي استطاعتك أن تصعد إليها. هل أنت على موعد معها؟

فهزّ الرجل رأسه ببطء، فقالت الآنسة كاسي: على كل حال اصعد الدرج واطرق الباب.

وراحت تراقبه وهو يرقى الدرج، ثم هزّت كتفيها وقالت لنفسها: لا بدّ أنه مصاب ببرد شديد وإلاّ لما كان صوته أشبه بالهمس. ومَن ذا الذي لا يصاب بالبرد في مثل هذا الطقس المخيف؟!

وعندما صعد الرجل بضع درجات راح يصفر بهدوء نغمة أغنية معروفة مطلعها يقول: «ثلاثة فئران عمياء... انظر كيف تجري».

* * *

تراجعت مولي دافيز بضع خطوات ورفعت عينيها إلى اللاّفتة الجديدة التي وُضعت على الباب والتي كُتب عليها هذه الكلمات: «فندق قصر مانكسويل» فابتسمت. كانت اللافتة تبدو حقاً وكأنها من صنع فنّان محترف. صحيح أن حرف القاف في كلمة قصر كان مرتفعاً قليلاً عن السطر وحروف مانكسويل يُزاحم بعضُها بعضاً ولكن اللاّفتة كانت مقبولة، ثم فكّرت مولي في زوجها وابتسمت مرة أخرى.

لا شك أن غايلز يستحقّ التهنئة لأنه أنجز مهمّته العسيرة على خير وجه رغم أنه لم يمارس كتابة اللاّفتات من قبل، وهو لم يذكر لها عن نفسه إلاّ القليل ولكنّها

تكتشف فيه في كل يوم شيئاً جديداً. لم يبقَ لديها شكّ في أنه إنسان متعدّد المواهب يستطيع الاضطلاع بأعمال كثيرة مختلفة، ولا عجب؛ فهو جندي سابق في البحرية والبحّارة معروفون بالدأب والنشاط، وعلى كل حال فغايلز سوف يحتاج إلى كل مواهبه وقدراته في مغامرتهما الجديدة.

هي على يقين من أنه لا يوجد في الدنيا من يجهل مهنة الفندقة وأعمال الفنادق مثلها هي وغايلز، ولكن مغامرتهما ستكون شيئاً مسلّياً، وهي بالنسبة إليهما قد حلّت مشكلة المسكن بطريقة حاسمة. لقد كانت هي صاحبة المشروع، فعندما ماتت عمّتها كاترين وكتب إليها أحد المحامين لينبئها بأن عمّتها كاترين قد أوصَت لها بقصر مانكسويل فكّرت هي وزوجها على الفور في بيع القصر. وسألها غايلز: "ما شكله؟" فأجابته: "إنه قصر كبير قديم مليء بالأثاث العتيق تحيط به حديقة كبيرة، ولكن الحديقة أُهملت منذ بداية الحرب فنمَت فيها الأعشاب والنباتات المتسلّقة حتى أصبحت أشبه بالأدغال لأنه لم يكن يعمل بها في السنوات الأخيرة سوى بستاني عجوز".

وهكذا قرّرا أن يعرضا القصر للبيع وأن يحتفظا من الأثاث بالقدر الذي يكفي لتأثيث منزل صغير أو شقّة متواضعة يقيمان فيها، ولكنّ قامت دون تنفيذ هذا القرار عقبتان، الأولى أنهما لم يجدا الكوخ الصغير أو الشقّة

المتواضعة التي يريدانها، والثانية أن قِطَع الأثاث كانت كبيرة الحجم ولا تتّسع لها الشقق الحديثة، وأخيراً قالت مولي: لا مفرّ إذن من بيع القصر وما فيه، وأعتقد أننا نستطيع الحصول على ثمن مُغرٍ.

وأكّد لها المحامي أن كل شيء يمكن بيعه بأثمان باهظة بعد أن وضعت الحرب أوزارها، فقال غايلز: إذن فمن المحتمل جداً أن نجد مَن يشتري القصر وما فيه ليجعل منه فُندقاً، خصوصاً وأنه بحالة جيّدة ولا يحتاج إلى ترميمات؛ فقد قامت صاحبته قبل وفاتها بترميمه وطلائه وأدخلت عليه بعض التحسينات. أجل، إنه بحالة جيّدة تماماً.

وهنا ومضت الفكرة في ذهن مولي فقالت: لماذا لا نفعل نحن ذلك يا غايلز؟ لماذا لا نحاول استغلاله كفندق؟

فسخر غايلز من الفكرة في البداية ولكن مولي أصرّت وألحّت قائلة: لا حاجة لنا في البداية إلى قبول نزلاء كثيرين، ثم إن إدارة الفندق لن تتطلّب جهداً كبيراً، خصوصاً وأن الغرف مزوّدة بالماء البارد والساخن، كما أن بالقصر جهازاً للتدفئة وأنابيب غاز للطهي، وفي استطاعتنا أن نزرع الخُضَر في الحديقة وأن نُعنى بتربية الدجاج والبطّ لنحصل على حاجتنا من البيض.

- ومَن سيقوم بكل تلك الأعمال؟ أنت تعلمين أن

هناك أزمة خدم.

– لماذا لا نقوم نحن بها؟ فنحن سنفعل ذلك حتماً أينما أقمنا، سنفعله لأنفسنا في شقتنا أو في كوخنا، فإذا زاد عددنا بضعة أشخاص فذلك لن يغيّر من الأمر شيئاً. وقد نحتاج فيما بعد إلى امرأة تعاوننا، أمّا في البداية فنحن سنقوم بالعمل بأنفسنا، فإذا جاءنا خمسة نزلاء ودفع كل واحد منهم سبعة جنيهات في الأسبوع فإن...

ثم حلّقت مولي في سماء الخيال وأمعنت في التفاؤل، ثم ترجمت أحلامها الورديّة إلى لغة الأرقام فوجدت أن الربح المرتقب يشجّع على المغامرة، ثم قالت في النهاية: ولا تنسَ يا غايلز أننا سنكون في بيتنا. نحن الآن نقيم في غرفة مؤقّتة ندفع أجرها كل أسبوع وإذا لم نغتنم الفرصة فقد تمضي سنوات قبل أن يصبح لنا بيت خاصّ.

ولم يسَع غايلز إلا الاعتراف بأنها على حقّ، فقد تم زواجهما بسرعة وعاشا منذ ذلك الوقت في غرفة مؤقتة في بيت حافل بالنزلاء ولم ينعما قطّ بالحياة الزوجية بمعناها الصحيح. لقد كانا أشبه بمن يعيش في ثكنة عسكرية، فهُما يتناولان الطعام في الموعد الذي تحدّده صاحبة البيت ولا يتناولان من ألوانه إلا ما تختاره هي لهما.

وهكذا بدأت المغامرة الكبرى وأعلنا في الصحيفة المحلّية وفي جريدة التايمز عن موعد افتتاح فندق قصر

مانكسويل، وجاءتهما رسائل من بعض أشخاص يرغبون في الإقامة بالفندق. وكان اليوم هو الافتتاح الذي ينتظّران فيه قدوم النزلاء، فانطلق غايلز بسيارته في ساعة مبكّرة لشراء أسلاك من مخلّفات الجيش قد أُعلن عن بيعها في إحدى المدن القريبة، كما هرولت مولي إلى القرية المجاورة لشراء بعض ما يلزم الفندق.

كان كل شيء عل ما يُرام فيما عدا الجوّ؛ فقد اشتدّ البرد في اليومين الأخيرين وبدأ الجليد في التساقط، فأسرعت مولي الخطى والبرَد يغطّي كتفيها وشعرها الأشقر الجميل، وكانت تفكّر فيما جاء بنشرة الأرصاد الجوية التي أُذيعت في الصباح. لقد تنبأت تلك النشرة بعاصفة ثلجية وشيكة وها هي تتحقّق، ولكن كل ما ترجوه مولي هو ألاّ تتجمّد المياه في الأنابيب. حقاً إنه لمن المحزن أن تسوء الأمور على هذا النحو منذ البداية.

نظرت مولي إلى ساعتها ثم قالت في نفسها: لقد فات موعد تناول الشاي! تُرى هل عاد غايلز من مهمّته؟ وماذا كان شعوره حين بحث عني في الفندق ولم يجدني؟

ذلك لأنها لم تكن قد أخبرته بعزمها على الذهاب إلى القرية، وسيسألها حتماً أين كانت فتجيبه: كان لا بدّ لي أن أذهب إلى القرية لشراء بعض اللوازم التي كنتُ قد نسيتها.

فيضحك ويقول: المزيد من المعلّبات طبعاً.

ثم ينفجران ضاحكَين. لقد كانت المعلّبات موضوعَ تندُّر بينهما؛ فهما يبحثان دائماً عن الأطعمة المحفوظة بأنواعها المختلفة ويبتاعان منها كل ما يجدانه حتى لا تحدث في الفندق أزمة طعام، أمّا الزيوت والدهنيات فكان لديهما منها كمّية كافية لمواجهة كافة الطوارئ.

ونظرت مولي إلى السماء وقطّبت حاجبيها؛ فقد كان واضحاً أن الطوارئ على الأبواب وأنها ستحلّ بأسرع مما كانا يتوقّعان.

ووجدت مولي الفندق خالياً لأن غايلز لم يكن قد عاد بعدُ، فذهبت إلى المطبخ أولاً ثم ارتقت الدرَج وطافت بغرف النوم التي تمّ إعدادها أخيراً. لقد تم الاتفاق بينها وبين غايلز على طريقة توزيع النزلاء على الغرف، فالسيدة بويل ستقيم في الغرفة الجنوبية ذات الجدران المغطاة بخشب الأرز، والميجور متكليف سيقيم بالغرفة الزرقاء، أمّا السيد رين فسيقيم بالغرفة الشرقية ذات النافذة الكبيرة. وكانت الغرف كلّها جميلة وأنيقة، ومن حسن الحظّ أن العمّة كاترين تركت في القصر كمّية وفيرة من الملاءات والأغطية تسدّ حاجة الفندق لسنوات قادمة.

أعادت مولي تنظيم بعض قطع الأثاث ثم هبطت إلى الطابق الأرضي، وكان الليل قد أرخى سدوله فبدا

الفندق فجأة ساكناً خاوياً؛ فقد كان قائماً في منطقة منعزلة تبعد نحو ميلين عن القرية بل وعن أيّ مكان آخَر مأهول، وكثيراً ما وجدت مولي نفسها وحدها فيه ولكن لم يحدث من قبل أنها شعرت بمثل هذه الوحشة.

وراحت قطع الجليد تدقّ زجاج النوافذ بأصوات خافتة هامسة تثير الأعصاب، وأخذت الخواطر المزعجة تلحّ على مولي وقالت لنفسها: ماذا لو أن غايلز لم يستطع العودة؟ ماذا لو أن سيارته لم تستطع مواصلة الرحلة بسبب تراكم الجليد؟ ماذا لو أنني اضطُررت إلى البقاء وحدي في الفندق الخاوي أياماً وأياماً؟

وكان المطبخ فسيحاً خليقاً بأن تشرف عليه طاهية ممتازة وعدد من المساعدين، ورأت مولي بعين خيالها مائدة كبيرة في وسط المطبخ تتصدّرها طاهية ضخمة الجسم تحتسي قدحاً من الشاي الأسود وتطحن بفكّيها كعكة شهية في حين يحيط بها سائر خدم الفندق الذين يتألّفون من فتاة مورّدة الوجنتين تشرف على تنظيم الغرف، وأخرى تعتني بالنظافة، وثالثة تساعد الطاهية في أعمال المطبخ، وبستاني شابّ يعمل في الحديقة ليعيد إليها مجدها. ولكن تلك الصورة الخيالية المشرقة ما لبثت أن تلاشت ووجدت مولي دافيز نفسها وحيدة في المطبخ الكبير فشعرت على الفور بأنها تقوم بدور لم تُخلَق له وأن كل شيء في حياتها الجديدة يبدو غير طبيعي.

وفجأة رأت ظلاً يمرّ بالنافذة فوثب قلبها بين ضلوعها. ها هو ذا رجل غريب يتسلّل حول المكان! ثم سمعَت صوتاً مريباً ينبعث من باب المطبخ، ثم فُتح الباب ووقف الرجل الغريب على عتبته وراح يهزّ معطفه بيديه ليزيل ما علق به من قطع الجليد، فانكمشت مولي في مكانها، ولكن ما إن رفع الغريب رأسه حتى عرفته وصاحت: غايلز! أهذا أنت؟ كم أنا سعيدة بعودتك!

ودهش غايلز لحظة؛ فهو لم يتوقّع أن يجدها في المطبخ، وكان ظهورها مفاجأة له فهتف قائلاً: مولي؟ ماذا تفعلين هنا في الظلام بالله عليك؟! يا له من جوّ قاسٍ! أطرافي توشك أن تتجمّد.

وضرب الأرض بقدميه ليزيل قطع الثلج عن حذائه وراح يفرك كفّيه بقوّة ونشاط، ثم خلع معطفه وألقى به على أحد المقاعد، فتناولته مولي وأخرجت من جيوبه جريدة مطويّة وحزمة من الخيوط وبعض الرسائل التي وردت في بريد الصباح، ثم وضعت ذلك كلّه على مائدة المطبخ وشرعت في إعداد الشاي ثم سألته: هل اشتريتَ الأسلاك؟ لقد طال غيابك حتى خشيتُ ألاّ تستطيع العودة.

فأجاب: لم تكن الأسلاك من النوع المطلوب وما كانت لتفيدنا، وقد بحثتُ عن غيرها في بعض متاجر المخلّفات ولكن دون جدوى. وماذا فعلت أنت

في غيابي؟ أظن أن أحداً من النزلاء لم يحضر بعد، أليس كذلك؟

- أنت تعلم أن السيدة بويل لن تحضر قبل صباح الغد.

- لقد أرسل الميجور متكليف ببطاقة قال فيها إنه لن يحضر إلاّ غداً.

- ولكن الميجور متكليف والسيد رين كان يجب أن يحضرا اليوم.

- إذن فلن يكون معنا الليلة سوى السيد رين. تُرى أيّ رجل هو؟! أعتقد أنه موظّف متقاعد. هل لديكِ أية فكرة عنه؟

- أكبر الظنّ أنه فنّان.

- في هذه الحالة يجب أن نتقاضى منه أجر أسبوع سلفاً.

- لا يا غايلز، النزلاء يحضرون بحقائبهم فإذا عجزوا عن الدفع حجزنا الحقائب.

- ولكن ماذا لو أن الحقائب لا تحتوي إلاّ على قطع من الحجارة ملفوفة بورق الصحف؟ الواقع يا مولي أننا لا نعرف كل أسرار هذه المهنة ومفاجأتها، وكل ما أرجوه ألاّ يشعر النزلاء بأننا حديثو عهد بهذا العمل.

فقالت مولي: أنا واثقة من أن السيدة بويل من ذلك الطراز الفضولي الذي يدسّ أنفه في كل شيء.

- وما أدراكِ؟ هل تعرفينها من قبل؟

فصمتت مولي ولم تُجِب، ثم نشرت إحدى الصحف على المائدة وجاءت بقطعة من الجبن أضافت إليها بعض البطاطا المسلوقة وقطع الخبز، فسألها غايلز: ما هذا؟ ماذا تصنعين؟

- سأطهو نوعاً من الفطائر التي يصنعها أهل ويلز.

- يا لك من طاهية بارعة!

- الواقع أنني أعرف مِمّ تُصنعٍ هذه الفطائر، ولكنني لا أعرف المقادير المناسبة من الجبن والبطاطا والخبز.

وصمتت قليلاً ثم أردفت: ليس هناك ما يزعجني من وجبَات الطعام سوى وجبة الإفطار.

- لماذا؟

- لأنها تحتّم إعداد أشياء كثيرة في وقت واحد، البيض والجبن واللبن والقهوة والخبز، فيفور اللبن ويحترق الخبز وتبرد القهوة ويجفّ البيض... إعداد وجبة الإفطار يتطلّب نشاطاً وسرعة.

فقال غايلز وهو يبتسم: سأتسلّل إلى المطبخ غداً صباحاً لأرى كيف ستواجهين الموقف.

فصاحت مولي: الماء يغلي! هل نتناول الشاي في قاعة المكتبة كي نستمع هناك إلى الإذاعة؟ لقد حان موعد إذاعة نشرة الأخبار.

- يبدو أننا سنقضي جُلّ وقتنا بعد اليوم في المطبخ، ولهذا يحسن أن نضع هنا جهاز راديو آخَر.

- ما أمتع العمل في المطابخ! أنا أحبّ هذا المطبخ بالذات وأعتقد أنه أجمل مكان في هذا البيت. ليتني أستطيع تشغيله بكل طاقاته على أوسع نطاق.

- لكي يستهلك من الوقود في يوم واحد كل نصيبنا من التموين طوال العام.

- هذا صحيح، ولكن فكّر في الشواء اللذيذ والفطائر الشهية وألوان الطعام المختلفة التي يمكن طهوها في الأفران.

- هذا ترف لا طاقة لنا به. هيا نسمع نشرة الأخبار.

كان الجانب الأكبر من الأنباء يتناول حالة الجوّ والتغيّرات المنتظرة والتحذير من عاصفة ثلجية متوقّعة، أمّا باقي الأنباء فتناولت الموقف الدولي المتأزّم ومناقشات مجلس النوّاب وجريمة قتل حدثت في شارع كالفر.

قالت مولي وهي تطفئ الراديو: لا شيء يستحقّ الذكر، كلّها أنباء مزعجة، وأراهنك على أن المذيع

سيردّد بعد قليل حديثه المألوف عن ضرورة الاقتصاد في استخدام الوقود. ماذا يريد هؤلاء الناس بالتحديد؟ أن نطفئ المواقد ونقبع في مقاعدنا حتى تتجمّد أطرافنا؟! بالمناسبة، أظنّ أنه ما كان ينبغي أن نفتتح الفندق في فصل الشتاء، كان يجدر بنا أن نفتتحه في الربيع.

وصمتت برهة ثم استطردت قائلة بصوت خافت: تُرى مَن تلك المرأة المسكينة التي قُتلت في شارع كالفر؟

- السيدة ليون؟

- هل كان ذلك اسمها؟ تُرى مَن قتلها؟ ولماذا قتلها؟

- لعلها كانت تخفي ثروة في شقّتها.

- عندما يتحدّثون في الصحف والإذاعة عن جريمة قتل ويقولون إن الشرطة ترغب في مقابلة شخص شوهد بالقرب من مسرح الجريمة فهل معنى ذلك أن الرجل هو القاتل؟

- غالباً ما يكون هو، وهذا أسلوب رجال الشرطة المألوف في توجيه الاتهام.

وفي تلك اللحظة رنّ جرس الباب الخارجي فجأة فمزّق رنينه السكون الشامل، وفزع الزوجان ونظر كل منهما إلى الآخر، ثم ابتسم غايلز وقال بلهجة مسرحية:

هذا جرس الباب الخارجي، لقد جاء القاتل!

فهدأت مولي وابتسمت بدورها وقالت: أسرع إذن، فلا بدّ أن يكون القادم هو السيد رين. سترى الآن أيّنا كان أقرب إلى الحقيقة في حدسه وتوقّعاته عنه.

* * *

الفصل الثاني

دخلِ السيد رين مسرعاً ودخل معه تيّار شديد من الريح وقِطع الثلج، ووقفت مولي بباب قاعة المكتبة ترقب القادم ولكنها لم ترَ منه إلا ظلاً على صفحة بيضاء يحيط بها إطار الباب، تماماً كما بدا لها زوجها منذ قليل حين وقف بباب المطبخ، فقالت لنفسها: ما أشدّ تشابه الرجال جميعاً في معاطفهم السوداء وقبعاتهم القاتمة والشملات التي يلفّونها حول أعناقهم!

وأسرع غايلز إلى الباب فأغلقه في وجه الريح والجليد في حين وضع السيد رين حقيبته على الأرض ورفع الشملة التي تحيط بعنقه وألقى بقبعته جانباً وانطلق في الحديث. لقد فعل كل ذلك بسرعة وفي وقت واحد، ورأت مولي أمامها في ضوء الثريّات المتدلّية من سقف البهو شاباً في مقتبل العمر شاحب اللون أشقر الشعر قلق العينين. كان يقول بصوت ثاقب النبرات: يا له من جوّ مخيف! هو ذلك الشتاء الإنكليزي في أسوأ صوَره. لا بدّ أن يكون الإنسان واسع الصدر مطبوعاً على المرح

كي يحتمل هذا الجوّ دون سخط أو تذمّر، أليس كذلك؟ لقد كانت رحلتي من ويلز إلى هنا أسوأ رحلة قمت بها في حياتي. هل أنت السيدة دافيز؟ كم أنا سعيد بلقائك يا سيدتي!

وشدّ على يدها بقوّة وسرعة ثم استطرد قائلاً: أنت تختلفين تماماً عن كل ما تخيّلته عنك؛ فقد كنتُ أتصوّر أنني سأجد أرملة لأحد العسكريين القدامى تجترّ ذكرياتها عن حياة الإنكليز في الهند والمستعمرات البريطانية. هل لديكِ زهور صناعية وطيور زينة؟ لا؟ حمداً لله! أظنّ أنني سأحبّ هذا المكان. كنت أخشى أن أجده قصراً عتيقاً متداعياً من تلك القصور الأثرية التي أكل عليها الدهر وشرب، ولكنني أرى قصراً أنيقاً عل الطراز الفكتوري له طابع البيوت الحديثة وله كل مستلزمات الحياة العصرية. ولكن أنبئيني، هل يوجد لديكِ شيء من الأثاث القديم المصنوع من الأخشاب الثقيلة وعليه نقوش محفورة تمثّل أنواع الفاكهة أو ما يشبه ذلك؟

كان يتكلّم بسرعة وبعبارات متلاحقة كالسيل، والكلمات تقتتل في فمه اقتتالاً حتى خُيّل لمولي أنه لن يسكت أبداً، فلمّا سكت تنفّسَت الصعداء وقالت ببطء: الواقع أن لدينا بعض قِطَع من الطراز الذي ذكرته.

- حقاً؟ هل أستطيع أن أراها الآن، فوراً؟ أين هي؟

- في قاعة الطعام؟

ثم نظرت إلى باب البهو، فأسرع إليه السيد رين ففتحه بسرعة ودخل وأضاء النور ثم تبعته مولي، وحانت منها التفاتة إلى زوجها فرأت في عينيه نظرة استياء. ورأى السيد رين في صدر قاعة الطعام خزانةً ضخمةً دقيقة الصنع تزيّن قوائمها نقوش جميلة محفورة في الخشب، وكانت الخزانة مليئة بالصحاف والأطباق وأدوات المائدة، وعندما دخلت مولي القاعة رأت السيد رين يهرول نحو الخزانة ويقف أمامها مشدوهاً، ثم رأته يتحسّس النقوش برفق كما لو كان يدلّل شيئاً عزيزاً قريباً إلى قلبه، ثم سمعته يهتف قائلاً: يا إلهي، هذه قطعة فنية رائعة.

وبعد أن ملأ عينيه من الخزانة أجال الطرف حوله في أنحاء القاعة ثم قال لمولي وفي عينيه نظرة تأنيب: ألا توجد مائدة طعام كبيرة تتناسب مع هذه الخزانة الرائعة؟ هل استبدلتِها بهذه الموائد الصغيرة المبعثرة في أرجاء القاعة؟

فأجابت مولي: لقد ظننا أن النزلاء يفضّلون هذه الموائد.

- لا شكّ أنك على حقّ يا عزيزتي، إنما كانت ملاحظتي صدى لما أشعره به من إعجاب واعتزاز بالأثاث القديم، ومن الطبيعي لو كانت هنا المائدة الكبيرة لوجب

استكمالاً للصورة أن تجلس حولها الأسرة المناسبة، أسرة تتألّف من أب صارم ذي لحية تغطي صدره، وأمّ متهالكة، وأحد عشر ابناً وابنة، ومربية حازمة، وفتاة فقيرة من أحد فروع الأسرة تساعد في جميع الأعمال وتحسب نفسها سعيدة لأنها وجدت بيتاً كريماً يؤويها. انظري إلى هذا الموقد الجميل وتصوّري ألسنة اللهب وهي تندلع منه وتُلقي وهجاً على ظهر ربّ الأسرة.

فقال غايلز وقد ضاق ذرعاً بتلك الثرثرة: سأحمل حقيبتك إلى غرفتك، وهي الغرفة الشرقية، أليس كذلك يا مولي؟

- بلى، هي الغرفة الشرقية.

وحمل غايلز الحقيبة وارتقى بها الدرَج في حين غادر السيد رين قاعة الطعام وعاد إلى البهو، وسأل: هل لفراشي أربعة أعمدة طويلة؟

فأجاب غايلز من أعلى الدرج: لا.

فتحوّل السيد رين إلى مولي وقال: لا أظن أن زوجكِ سيحبّني. ماذا كان عمله؟ هل كان في البحرية؟

- نعم.

- هذا ما توقّعته، فرجال البحرية أكثر صلابة من رجال الجيش والطيران. هل مضى على زواجكما وقت طويل؟ هل تحبّينه كثيراً؟

- لعلك تريد رؤية غرفتك.

- أجل، يُخيل إليّ أن أسئلتي كانت بعيدة عن الذوق، ولكنني في الواقع أحبّ أن أعرف كل شيء عن كل الناس. حقاً هو شيء مثير أن يعرف الإنسان أكبر قدر من المعلومات عن الآخرين، ألا ترين ذلك؟ أنا أتوق بصفة خاصّة إلى معرفة مشاعر الناس وكيف يفكّرون، وليس فقط مَن هم وماذا يفعلون.

فقالت مولي بشيء من الضيق: أعتقد أنك أنت السيد رين، أليس كذلك؟

فجمد الشاب في مكانه ثم ضرب على جبينه بيده وصاح: هذا مخيف حقاً، دائماً أهمل الأولويات. بلى، أنا أُدعى كريستوفر رين، وأرجوكِ ألاّ تضحكي. لقد كان أبي رجلاً واسع الخيال، وكان يرجو أن أصبح مهندساً، لذلك أسماني كريستوفر رين تيمّناً باسم المهندس المشهور كريستوفر رين.

فقالت مولي وهي لا تتمالك من الابتسام: وهل أنت مهندس؟

فأجاب بلهجة الظفر: نعم، أنا مهندس، أو أكاد أن أكون مهندساً. حقاً أنا لست مؤهّلاً تماماً ولكنني بالنسبة لأبي أُمثّل حُلماً تحقّق، ولكنني أخشى أن يصبح اسمي عقبة في طريق نجاحي لأنني لن أصبح أبداً مثل كريستوفر

رين. ولكن من يدري؟ فقد تحرز بيوت كريستوفر رين الجاهزة شهرة عالمية في يوم ما.

وفي تلك اللحظة عاد غايلز فقالت مولي: سأريك غرفتك يا سيد رين.

فسألها غايلز عندما عادت بعد بضع دقائق: هل أعجبه أثاث الغرفة؟

- لقد أصرّ على أن يكون لفراشه أربعة قوائم مرتفعة ولذلك ذهبتُ به إلى الغرفة الوردية.

فقلب غايلز شفته وغمغم قائلاً: يا له من معتوه!

فقالت مولي بشيء من الحدّة: أصغ إلي يا غايلز، هؤلاء الناس ليسوا ضيوفنا وليسوا مدعَوّينا إلى سهرة نقيمها، ولكنهم نُزلاء في فندق. هذا عمل، وسواء أعجبك كريستوفر رين أم لم يعجبك فهو...

فقاطعها غايلز: هو لا يعجبني.

- هذا لا يقدّم ولا يؤخّر، هو سيدفع سبعة جنيهات أسبوعياً وهذا هو المهمّ.

- هذا إذا دفع!

- لقد وافق على الدفع، وخطابه تحت أيدينا.

- هل نقلتِ حقيبته إلى الغرفة الوردية؟

- لقد نقلها هو إلى هناك بالطبع.

- يا له من شهم! لقد ظننتُ أنه تركك تحملينها، ومهما يكن من أمر فقد حملها وما كان ليرهقك. هي خفيفة، فمن الواضح أنها لا تحتوي على قطع من الحجارة ملفوفة بورق الصحف، بل هي من الخفة بحيث يُخيّل إليّ أنها فارغة.

فقالت مولي محذّرة: صه، ها هو قادم.

وذهبت مولي بضيفها إلى قاعة المكتبة، وكانت قاعة فسيحة جميلة بها مقاعد كبيرة مريحة ومدفأة تتأجّج فيها النيران، وهناك قالت له إن العشاء سيكون مُعدّاً بعد نصف الساعة، ثم أجابت على أحد أسئلته بقولها إنها لا تتوقّع قدوم نزلاء آخرين في هذا المساء، فقال الشاب: ما دام الأمر كذلك فهل ثمة ما يمنع من أن أساعدكِ في أعمال المطبخ؟ في استطاعتي أن أقلي البيض.

ثم انتقلوا جميعاً إلى المطبخ، وتعاون كريستوفر رين مع الزوجين في طهي الطعام وغسل الصحاف، ولكن مولي شعرت بأن تلك ليست البداية الصحيحة لعمل يُرجى له النجاح. ولم يخفِ غايلز استياءه من كل ما حدث، وقالت مولي لنفسها وهي تستلقي على فراشها: ستختلف الأمور غداً عندما يأتي باقي النزلاء.

* * *

الفصل الثالث

جاء الغد بسماء مظلمة وبرد أشدّ قسوة وجليد يتساقط بغير هوادة، فقطب غايلز حاجبيه وانخلع قلب مولي ثم قالت: الجوّ سيزيد الأمور تعقيداً وقد يفسد كل شيء.

وجاءت السيدة بويل بإحدى سيارات الأجرة، وتحدث السائق عن الجوّ وأكوام الجليد التي تسدّ الطرق وتعرقل المواصلات حديثاً وأن هذا الجوّ لا يدعو إلى التفاؤل. قال: أكبر الظنّ أن العاصفة الثلجية ستزداد عنفاً قبل هبوط الظلام؛ فجميع الدلائل تنبئ بأن الجوّ سيزداد سوءاً.

ولم يساعد وجود السيدة بويل في تلطيف جوّ الكآبة الذي ساد الفندق بسبب تفاقم العاصفة؛ فقد كانت امرأة ضخمة الجسم عابسة الوجه تتكلّم بصوت رنّان وبلهجة الأمر، ولعلها كانت تضفي على نفسها من الأهمية أكثر مما تستحقّ نتيجة للمناصب الرئيسية التي

شغلتها في الجيش في أثناء الحرب. قالت وهي تنظر حولها باستنكار: لو علمتُ أن هذا الفندق حديث العهد بالعمل لما فكّرتُ في الإقامة به. لقد تبادر إلى ذهني أنه فندق عريق منظّم يُدار على أسس علمية.

فقال غايلز: إذا كان المكان لا يرضيكِ فليس ثمة ما يرغمك على الإقامة فيه يا سيدة بويل.

- بالطبع ليس هناك ما يرغمني على الإقامة فيه.

- هل أتصل هاتفياً بمن يرسل إليكِ إحدى سيارات الأجرة يا سيدة بويل؟ الجليد لم يسدّ الطرق بعدُ، فإذا كان قد حدث سوء تفاهم فمن الأفضل أن تذهبي إلى أيّ مكان آخَر.

فرمقته السيدة بويل بنظرة حادّة وقالت: من المؤكّد أنني لن أترك المكان قبل أن أختبره.

فابتسم غايلز، ومضت السيدة بويل إلى غرفتها. قالت مولي تحدث زوجها: خيراً فعلت أيها العزيز! لقد عرفت حقاً كيف تتعامل معها.

- المتعجرفون من أمثال تلك المرأة لا يردعهم إلا أن يعامَلوا بالمثل.

- أنا أتساءل كيف ستكون الصلة بينها وبين شخص مثل كريستوفر رين.

- لا أعتقد أنه ستكون بينهما أية صلة ودّية.

وحدث فعلاً بعد ظهر ذلك اليوم أن قالت السيدة بويل لمولي بلهجة الاشمئزاز: هذا المدعوّ كريستوفر رين يخيل إليّ أنه شاب غريب الأطوار.

وجاء الخبّاز وهو يرتدي من الثياب ما يحمل على الظنّ بأنه يقوم باكتشاف القطب الشمالي، فقدّم لمولي حاجتها من الخبز وعبّر لها عن ارتيابه في أنه يستطيع موافاتها بالخبز كل يومين كما وعد، وقال لها: الجليد يسدّ الطريق ويزداد ارتفاعاً ساعة بعد أخرى. أرجو أن يكون لديك من المؤن ما يكفيك.

فقالت مولي: الواقع أن لدينا كمّية من المعلّبات، وأظن أنه يحسُن بي أن أختزن بعض الدقيق لأصنع منه خبزاً عند الضرورة.

وكان الخبّاز قد أحضر لها الصحف كذلك فوزّعتها على الموائد في البهو، ولم يكن هناك من الأنباء السياسية ما يثير الاهتمام، لذلك احتلّت الأحوال الجوّية وتفصيلات جريمة مقتل السيدة ليون الصفحات الأولى من الجرائد. وكانت مولي تتأمّل صورة السيدة ليون في الجريدة حين سمعَت صوت كريستوفر رين من خلفها وهو يقول: جريمة مفزعة، أليس كذلك؟ امرأة مسكينة في شارع فقير. مستحيل أن يكون وراء مثل تلك

الجريمة قصّة مثيرة.

فقالت السيدة بويل باشمئزاز: لا شكّ أن تلك المخلوقة لم تلقَ أكثر مما تستحقّ.

فنظر إليها كريستوفر رين بحدّة وقال: أتعتقدين أنها جريمة تمسّ الشرف والأخلاق؟

- أنا لم أقل شيئاً بهذا المعنى يا سيد رين.

- ولكنها قُتلت خنقاً، أليس كذلك؟

ثم بسط يديه الطويلتين إلى الأمام واستطرد قائلاً: تُرى ما هو شعور القاتل حين يخنق شخصاً؟

- كفى يا سيد رين!

ولكن كريستوفر رين تحرّك نحوها ببطء وهو لا يزال باسطاً يديه إلى الأمام وقال بصوت خافت: هل فكّرتِ يا سيدة بويل كيف يكون شعور الضحية حين ينشب القاتل أظافره في عنقها؟

فصاحت السيدة بويل باستنكار: كفى يا سيد رين!

وأرادت مولي أن تضع حدّاً لما يجري بين كريستوفر رين والسيدة بويل فقرأت في الصحيفة بصوت مرتفع: «ويبحث رجال الشرطة عن رجل متوسط القامة يرتدي

معطفاً أسود وقبعة خفيفة داكنة اللون ويحيط عنقه بشملة من صوف».

فضحك كريستوفر وقال: كلّنا ذلك الرجل. مَن منا لا يرتدي معطفاً أسود وقبعة داكنة اللون وتحيط عنقه بشملة من الصوف؟!

فقالت مولي: صدَقتَ.

* * *

الفصل الرابع

فتح بارمنتر كبير مفتّشي اسكتلنديارد دُرج مكتبه وأخرج ملفّاً وضعه أمامه وقال يحدّث المفتش كين: ها أنا ذا على استعداد لمقابلة هذين العاملَين يا كين.

- حسناً يا سيدي.

- ما رأيك فيهما؟

- يخيّل إليّ أنهما رجلان بسيطان من طبقة الكادحين الأمناء الذين يوثق بصدقهم.

- حسناً، جئني بهما.

وبعد لحظة دخل الغرفة رجلان يرتديان خير ما عندهما من ثياب وتبدو عليهما دلائل الارتباك، فرمقهما بارمنتر بنظرة سريعة كانت كافية لتقييمهما. وكان الرجل بارعاً في طمأنة الناس وتهدئة روعهم فقال وعلى شفتيه ابتسامة عذبة: أتعتقدان حقاً أن لديكما معلومات قد تفيدنا في قضية مقتل السيدة ليون؟ لقد أحسنتما صنعاً

بقدومكما. تفضّلا بالجلوس، هل تدخّنان؟

ثم قدّم لفافة تبغ لكل منهما وانتظر حتى أشعلا لفافتيهما ثم قال: الجوّ في الخارج رهيب، أليس كذلك؟

- بلى يا سيدي، هو رهيب حقاً.

- والآن، ماذا عندكما من المعلومات؟

فنظر كل من الرجلين إلى الآخر واشتدّ ارتباكهما، وأخيراً قال أطولهما قامة: تكلّم يا جو.

فتكلّم جو وقال: إليك ما حدث يا سيدي، لم يكن معنا عود ثقاب فـ...

- أين حدث ذلك؟

- في شارع غارمان، عندما كنا نعمل في إصلاح ماسورة الغاز الرئيسية.

فهزّ بارمنتر رأسه مؤمّناً على حديث جو، وهو يستطيع التحقق من الزمان والمكان بمزيد من الدقة فيما بعد، أما في تلك اللحظة فهو لا يجب أن يحاصر محدّثه بالأسئلة حتى لا يزيده ارتباكاً. وكان يعلم أن شارع غارمان يقع بالقرب من شارع كالفر حيث ارتُكبَت الجريمة، ثم قال مشجّعاً: أجل، لم يكن معكما عود ثقاب، وماذا بعد؟

- كانت علبة الثقاب قد فرغت وكذلك عطبَت قدّاحة زميلي بيل، ثم وقع بصري على رجل يمرّ بالشارع على مقربة منّا فسألته: "هل أجد معك عود ثقاب أيها السيد؟" ولم يخامرني شكٌّ في أمره في ذلك الوقت؛ فقد كان مجرّد عابر سبيل مثل كثيرين غيره.

وهنا هزّ بارمنتر رأسه مؤمّناً على كلامه مرة أخرى، ثم مضى جو في حديثه فقال: فأعطانا الرجل عود ثقاب دون أن ينطق بكلمة، فقال له صديقي بيل: "البرد شديد اليوم، أليس كذلك؟"، فأجاب الرجل بصوت خافت كالهمس: "بلى، إنه شديد". وقد خُيّل إليّ من صوته أنه مُصاب بنزلة برد، ثم شكرته ورددتُ إليه علبة الثقاب، ثم مضى في سبيله مسرعاً، وبلغ من سرعته أنني عندما وجدتُ شيئاً سقط منه وناديته لم يصل صوتي إليه. كان ذلك الشيء هو دفتر صغير يبدو أنه أخرجه من جيبه مع علبة الثقاب فسقط منه دون أن يشعر، فناديته وصِحْت قائلاً: "أيها السيد، لقد سقط منك شيء"، لكنه لم يسمعني واستمرّ يمشي بسرعة حتى غاب عن عيني في منحنى الطريق، أليس كذلك يا بيل؟

- بلى، لقد كان مسرعاً كالأرنب المذعور.

ثم قال جو: ثم انحرف الرجل إلى شارع هارو وغاب عن أبصارنا، ولم يكن ثمة أمل في أن نلحق به وهو يسير بتلك السرعة، ثم إن الدفتر الصغير كان شيئاً

لا أهمية له وليست له قيمة كحافظة النقود مثلاً، فقلت لصديقي: "يا له من رجل غريب الأطوار! أرأيت كيف أرخى قبّعته على وجهه حتى كادت أن تخفي عينيه، وكيف أحكم أزرار ثوبه حتى بدا أشبه باللصوص الذين نراهم في الأفلام؟". ذلك ما قلته لصديقي بيل، أليس كذلك يا بيل؟

فقال بيل موافقاً: بلى، هذا ما قلتَه تماماً.

ثم قال جو: أليس عجيباً أن أقول ذلك وأنا لا أعرف عن الرجل شيئاً؟ كل ما ظننته أنه ربما يسرع الخطى لكي يعود إلى بيته في أقرب وقت، ولا عجب؛ فقد كان الجوّ شديد البرودة.

فقال بيل: أجل، كان البرد شديداً جداً.

ومضى جو في حديثه قائلاً: ثم قلت لصديقي بيل: "دعنا نلقي نظرة على هذا الدفتر الصغير لنرى مدى أهمّيته"، وتصفّحتُ الدفتر فلم أجد به سوى عنوانين، أحدهما للمنزل رقم ٧٤ بشارع كالفر، والثاني لقصرٍ ذي اسم غريب لا أذكره.

فقال بيل: أجل، كان اسماً شديد التعقيد.

ثم قال جو بلهجة الواثق من نفسه: وعندما قرأتُ العنوان الأوّل قلت لزميلي بيل: "شارع كالفر قريب من هنا فدعنا نذهب إليه بعد فراغنا من العمل كي نردّ

الدفتر إلى صاحبه"، وبينما كنت أقول ذلك وقع بصري في إحدى صفحات الدفتر على كلمات عجيبة، فقلت لزميلي: "ما هذا يا بيل؟ خذ وانظر!" فتناول بيل الدفتر وقرأ فيه هذه الكلمات: «ثلاثة فئران عمياء»، وفي تلك اللحظة سمعنا صوت امرأة في شارع قريب تصرخ بصوت ينمّ عن الفزع الشديد وتقول: النجدة، النجدة!

وصمت جو قليلاً عند تلك النقطة المثيرة ثم استمرّ في حديثه قائلاً: كانت المرأة تصرخ مستغيثة، فقلت لزميلي بيل: "اذهب يا بيل وانظر ما حدث"، وبعد بضع دقائق عاد بيل وقال لي إنه رأى حشداً من الناس وبعض رجال الشرطة وإنه فهم مما قيل حوله أن هناك امرأة ذُبحَت أو قُتلَت خنقاً وأن صاحبة الدار اكتشفت الجريمة فصرخت مستغيثة، فسألته: "وأين حدثت الجريمة؟" فأجاب: "في شارع كالفر"، فقلت له: "وما رقم البيت؟" فأجاب بأنه لم يقرأ الرقم.

وهنا سعل بيل وأطرق برأسه، ومضى جو في سرد قصّته قائلاً: ثم قلت لبيل: "يجب أن نتحقّق من الرقم". وقصدنا إلى البيت الذي حدثت فيه الجريمة، ولما وجدنا أن رقمه ٧٤ تباحثنا في الأمر، فقال بيل: "ربما لا توجد أية صلة بين الدفتر والجريمة"، فقلت له: "ولكن ربما توجد صلة". وبعد كثير من الأخذ والردّ سمعنا أن رجال الشرطة يبحثون عن رجل غادر ذلك البيت عقب

الجريمة. ولذلك جئنا إلى هنا وسألنا عمّن يشرف على تحقيق الجريمة فأُرشدنا إليك، وكل ما نرجوه هو ألاّ نكون قد أضعنا وقتك الثمين.

فقال بارمنتر: لقد أحسنتما صنعاً بالقدوم إليّ. هل أحضرتما الدفتر؟ شكراً، والآن...

وعندئذٍ تغيّرَت لهجته فجأة فراح يلقي الأسئلة بحدّة ودقّة للوقوف على مزيد من التفصيلات، وهكذا عرف الزمان والمكان على وجه التحديد، ولكن الشيء الوحيد الذي لم يستطع الوقوف عليه هو أوصاف الرجل الذي سقط منه الدفتر، وقد كان وصفهما للرجل لا يزيد عمّا وصفته به صاحبة البيت، فهو رجل متوسّط القامة يرخي قبّعته على وجهه ويحيط عنقه بشملة من الصوف ويضع في يديه قفّازاً ويتكلّم بصوت كالهمس.

وعندما انصرف الرجلان راح بارمنتر ينظر إلى الدفتر الصغير ويفكّر. سوف يرسل هذا الدفتر فوراً إلى الجهات المختصّة للبحث عن دليل من بصمات الأصابع أو غيرها، ولكن ما يهمّه في تلك اللحظة هو ذلك العنوان الثاني وتلك العبارة عن الفئران العمياء.

وفي تلك اللحظة دخل المفتش كين فقال له: تعالَ يا كين، انظر إلى هذا.

فأطلّ كين من فوق كتف رئيسه وقرأ الكلمات: «ثلاثة فئران عمياء» فأطلق من فمه صَفيراً خافتاً، وفي

نفس الوقت فتح بارمنتر دُرج مكتبه وأخرج منه ورقة متوسّطة الحجم وضعها على مكتبه بجانب الدفتر الصغير. كانت تلك الورقة قد وُجدت مثبّتة بثياب المرأة القتيلة وكان مكتوباً عليها هذه الكلمات: «هذه هي الأولى» وتحتها رسم بدائي كأنه من صُنع طفل يمثّل ثلاثة فئران وبالقرب منها علامة نوتة موسيقية.

وهنا صفر كين بشفتيه نغمة أغنية مشهورة تبدأ بهذه الكلمات: «ثلاثة فئران عمياء، انظر إليها كيف تجري».

فقال بارمنتر: أجل، هذا هو النغم، وهو علامة القاتل أو على الأصحّ بصمته وتوقيعه.

- يا لها من فكرة جنونية!

- أجل، ولكن هل أنت واثق من شخصية المرأة؟

- كل الثقة، وها هو تقرير إدارة البصمات، وقد جاء فيه أن مورين غريغ هو الاسم الحقيقي للمرأة التي تدعو نفسها السيدة ليون وأنها كانت من نزيلات سجن هولواي، وقد أُطلق سراحها منذ شهرين بعد وفاء مدّة السجن التي حُكِم بها عليها.

فقال بارمنتر مستطرداً: وبعد إطلاق سراحها ذهبَت للإقامة بالمنزل رقم ٧٤ بشارع كالفر وأطلقت على نفسها اسم مورين ليون، وكانت تشرب الخمر أحياناً. وكان

يبدو أنها لا تخشى شيئاً ولا ترهب أحداً؛ فليس ثمة ما يدعو إلى الاعتقاد بأنها كانت تعتقد أن هناك خطراً يتهدّدها. وقد ضغط ذلك الرجل جرس الباب وسأل عنها فقالت له صاحبة البيت: "إنها في الطابق الثاني"، وكل ما قالته صاحبة البيت في وصفه هو أنه متوسّط القامة ومصاب ببرد قد حبس صوته. وعادت صاحبة البيت إلى مقرّها في الطابق الأرضي ولم ترَ أو تسمع ما يريبها ولم تشعر بانصراف الرجل، وبعد بضع دقائق حملت الشاي إلى مورين غريغ في غرفتها فوجدتها مخنوقة. أعتقد يا كين أن هذه الجريمة ليست عرضية ولكنها دُبّرت بإحكام ونُفّذت بدقّة.

وكفّ عن الكلام لحظة ثم قال فجأة: تُرى كم قصراً في إنكلترا يحمل اسم مانكسويل؟

- يحتمل ألاّ يكون هناك سوى قصر واحد بهذا الاسم.

- إذا صحّ ذلك فسيكون ضربة من ضربات الحظّ. المهمّ الآن أن تبحث عن ذلك القصر؛ فليس لدينا متّسع من الوقت.

ثم نظر المفتش كين إلى العناوين المسجّلين في الدفتر الصغير: «٧٤ شارع كالفر، قصر مانكسويل»، ثم تحوّل إلى رئيسه وقال: هل تظنّ أن...

فقاطعه بارمنتر قائلاً بسرعة: نعم، فماذا تظنّ أنت؟

- هذا ممكن، ولكن أين يوجد قصر مانكسويل هذا؟ صبراً يا سيدي. أستطيع أن أقسم أنني رأيت هذا الاسم أخيراً.

- أين؟

- ذلك ما أحاول أن أتذكره، صبراً لحظة. لقد كان ذلك في إحدى الصحف، وفي صحيفة التايمز بالتحديد، بالصفحة الأخيرة في إعلانات الفنادق والغرف المؤثثة. تذكرتُ الآن، لقد كنتُ أحاول حلّ لغز الكلمات المتقاطعة وكان ذلك في عدد قديم من الجريدة.

وغادر الغرفة مسرعاً ثم عاد بعد قليل وعلى شفتيه ابتسامة عريضة وهتف قائلاً: ها هو ذا الإعلان يا سيدي، انظر.

فقرأ بارمنتر في الإعلان الذي أشار إليه كين بإصبعه: «فندق قصر مانكسويل في هاربلندن بمقاطعة بركشاير». ثم صاح: أريد الاتصال فوراً بإدارة شرطة بركشاير.

* * *

الفصل الخامس

بقدوم الميجور متكليف انتظم العمل في فندق قصر مانكسويل، ولم يكن الميجور فظّاً مثل السيدة بويل ولا مهذاراً مثل كريستوفر رين، وإنما كان رجلاً في الحلقة الرابعة من عمره رصيناً عسكريّ المظهر. وقد أحضر معه حقيبتين ثقيلتين بدّدتا كل شكوك غايلز الذي طُبع على الارتياب في قدرة النزلاء أو استعدادهم لسداد فاتورة الحساب.

وعلى الرغم من أن الميجور والسيدة بويل لم يكونا قد تلاقيا قبل ذلك إلاّ أنه ظهر أن الميجور يعرف أبناء عمّها المقيمين بمدينة بونا، وهكذا قام بينهما شيء من التفاهم، ولكن مولي وغايلز لم يكن لديهما متّسع من الوقت لبحث العلاقات بين النزلاء، فكانا يتعاونان معاً في طهي الطعام وإعداده وتقديمه للنزلاء وغسل الصحاف، وقد أعرب الميجور متكليف عن رضاه عن الطعام والقهوة.

وأوى غايلز ومولي إلى فراشهما وهما متعبان،

ولكنهما كانا راضيَين عن أنفسهما كل الرضا، وإذا بهما يستيقظان في الساعة الثانية صباحاً على رنين جرس الباب الخارجي. وكان الرنين متصلاً وملحّاً فقال غايلز وهو يتميّز غيظاً: يا إلهي! هذا جرس الباب الخارجي. تُرى من...؟

فقاطعته مولي: اذهب وانظر من القادم يا غايلز. أسرع بالله عليك قبل أن يستيقظ النزلاء ولا نسلَم من لومهم.

فنظر إليها غايلز مؤنّباً، ثم ألقى وشاحاً على كتفيه وهبط الدرَج. وسمعت مولي حركة مزلاج الباب الخارجي ثم تمتمة حديث بين زوجها وشخص آخر في البهو، واستبدّ بها الفضول فوثبت من فراشها وأطلّت من فوق حاجز الدرَج على البهو فرأت زوجها يساعد رجلاً غريباً ذا لحية قصيرة على خلع معطفه المثقل بقِطع البرَد. وقد وصل إلى سمعها جانب من حديثهما، حيث قال القادم بصوت مرتفع وبلكنة أجنبية واضحة: البرد من الشدّة بحيث لا أكاد أشعر بأصابعي، أمّا قدماي...

ثم دقّ الأرض بقدميه بصوت مسموع، فقال غايلز وهو يفتح باب غرفة المكتبة: ادخل هنا لتنعم ببعض الدفء ريثما أُعدّ غرفة لإقامتك.

فقال الغريب بأدب: حقاً، أنا سعيد الحظ.

وانحنت مولي فوق حاجز الدرَج ونظرت إلى القادم

فرأت رجلاً متقدّماً في السنّ ذا لحية قصيرة سوداء وحاجبين كثيفين، وكان الرجل يسير بخطى سريعة نشيطة لا تتناسب مع سنّه وشعره الأشيب. ثم دخل قاعة المكتبة وأغلق غايلز بابها وارتقى الدرَج مسرعاً، فسألته مولي: مَن ذلك الغريب؟

فابتسم غايلز قائلاً: ضيف جديد اصطدمَت سيارته بأكوام الجليد فانقلبَت ولكنه استطاع الخروج منها وسار على غير هدى حتى رأى لافتة الفندق فكان كمن ضلّ طريقه في الصحراء واهتدى أخيراً إلى واحة ظليلة. هذا كان تعبيره!

وصمت لحظة ثم استطرد قائلاً: العاصفة لا تزال على أشدّها في الخارج.

فقالت مولي بصوت ينمّ عن قلقها: هل تظنّ... هل أنت مطمئنّ إليه؟

- يا عزيزتي، اللصوص لا يسطون على البيوت.

- هو غريب، أليس كذلك؟

- بلى، هو غريب واسمه برافتشيني. لقد رأيت حافظة نقوده، وقد تعمّد أن يفتحها أمامي كي أرى بطاقة اسمه، أما الحافظة فكانت مليئة بالأوراق المالية. إلى أية غرفة أذهب به؟

- إلى الغرفة الخضراء، وهي نظيفة ومرتبة ولا

ينقصها إلا أن أُعد الفراش.

فقال غايلز: أظن أنني يجب أن أعيره إحدى مناماتي؛ فقد ترك كل أغراضه في السيارة المقلوبة ونجا بجلده من نافذتها.

- يخيّل إليّ أن الجليد سيعزلنا عن العالم تماماً، وهو أمر لا يخلو من الإثارة، أليس كذلك؟

فقالت مولي: لا أدري!

ثم هزّت رأسها بارتياب وقالت: هل تظن أنني أستطيع أن أصنع خبزاً يا غايلز؟

فقال الزوج المخلص: نعم يا عزيزتي، أنت تستطيعين أن تصنعي كل شيء.

- ولكنني لم أصنع خبزاً من قبل. لقد تعوّد الخبّاز أن يأتينا به وتعوّدنا أن نأخذه سواء كان طازجاً أم قديماً. ولكن إذا حاصرنا الجليد فلن يكون هناك خبّاز.

- ولا قصّاب، ولا ساعي بريد، ولا جرائد، وربما الهاتف أيضاً.

- لن يكون هناك سوى الإذاعة.

- من حسن الحظّ أنه في استطاعتنا توليد التيار الكهربائي لإنارة الفندق.

- إذن يجب أن تُعِدّ آلة توليد التيار الكهربائي للعمل

غداً صباحاً لمواجهة الطوارئ، كما يجب أن نختزن كمّية من الفحم للتدفئة.

- الكمّية التي لدينا قليلة ومن المنتظَر ألاّ يرِد إلينا غيرها في وقت قريب.

- أنا أشعر بأننا قادمون على وقت عصيب يا غايلز. والآن أسرع إلى الضيف الجديد واذهب به إلى غرفته.

وفي صباح اليوم التالي تحقّقَت مخاوف غايلز وحدث ما قد توقّعه؛ فقد بلغ ارتفاع الجَليد خمسة أقدام وتكدّس أمام الأبواب والنوافذ، ولم يلُح في الأفق ما يوحي بأن العاصفة الثلجية ستهدأ في وقت قريب، وبدت الدنيا في الخارج بيضاء صامتة مخيفة!

❊ ❊ ❊

الفصل السادس

خلت قاعة الطعام إلاّ من السيدة بويل التي راحت تتناول فطورها، وكان الميجور متكليف قد تناول فطوره على المائدة وأزيلت بقايا الطعام، أمّا كريستوفر رين فلم يكن قد استيقظ بعد، وكان طعامه بانتظاره على مائدته. وهكذا كان أحد الرجلين يستيقظ من نومه مبكّراً والثاني يستيقظ متأخّراً، وليس هناك مَن يعرف أن الموعد المقرّر للإفطار هو التاسعة ويحترم هذا الموعد سوى السيدة بويل.

وفرغت السيدة بويل من تناول الفطور وكان الطعام جيّداً، ولكنها كانت تتميّز غيظاً وغضباً لأن فندق قصر مانكسويل لم يكن كما تخيّلته، فقد كانت تأمل أن تجد فيه من يتبارى معها في لعبة البريدج أو أن تجد فيه عوانس تبهرهنّ بمركزها الاجتماعي وتذهلهن بخطورة المناصب التي تولّتها في أثناء الحرب. وكانت نهاية الحرب قد تركت السيدة بويل فيما يشبه حافّة الصحراء، ذلك لأنها كانت خلال الحرب تعمل باستمرار وتصدر

الأوامر وتتكلّم بثقة ولا تقبل أيّ تهاون في العمل أو النظام، وكان نشاطها المفرط يمنع الذين يعملون معها من الارتياب في كفاءتها.

وقد وجدت من أنشطة الحرب مجالاً ملائماً لممارسة هوايتها في مضايقة الناس والتسلّط عليهم، حتى رؤساء الإدارات لم يسلموا من مضايقاتها، وكان يكفي أن تعبس ليدبّ الرعب في قلوب مرؤوسيها من الرجال والنساء، ولكن هذه الحياة النشيطة المثيرة انتهت تماماً بنهاية الحرب، فعادت السيدة بويل إلى الحياة العادية، لكنها وجدت أن الحياة العادية التي كانت تحياها قبل الحرب قد انتهت أيضاً؛ فالبيت الذي كانت تقطنه والذي استولى عليه الجيش لمقتضيات الدفاع يحتاج إلى كثير من أعمال الترميم والزخرفة كي يصبح صالحاً لسكناها، كما أن صعوبة الحصول على الخدم بعد الحرب تجعل سكناها في ذلك البيت الكبير أمراً مستحيلاً، وكذلك أصدقاؤها القدامى قد تشتتوا وتبعثروا وفرّقتهم ظروف الحرب. وهكذا وجدت نفسها فجأة مضطرّة إلى إعادة تنظيم حياتها على أُسس جديدة تساير روح العصر، وكانت مشكلتها الأولى هي أن تجد مكاناً لإقامتها، وعزمَت على الإقامة في أحد الفنادق ريثما تقرّر أمراً بشأن بيتها، فوقع اختيارها على فندق مانكسويل كمقرّ مؤقّت لها.

وأجالت السيدة بويل البصر حولها وفي عينيها

نظرة سخط واستياء وقالت لنفسها: كان واجب الأمانة يقتضيهم أن ينبئوني بأن الفندق جديد وأنهم حديثو العهد بالعمل.

ثم دفعت صينية الطعام بعيداً عنها. ومن عجب أن جودة طعام الفطور والمربى التي صنعتها مولي بنفسها والقهوة الجيّدة التي قُدِّمَت إليها بعد الطعام، كل ذلك لم يزِدها إلاّ ضيقاً وتحاملاً على الفندق وصاحبَيه لأنهما حرماها من متعة الشكوى وتوجيه اللوم والنقد، كذلك كان فراشها وثيراً مريحاً وأغطيته نظيفة أنيقة، وهي تحبّ الراحة والترف ولكن الشيء الذي كانت تحبّه أكثر من الترف والراحة هو أن تجد عيباً يطلق لسانها بالنقد والتأنيب. ثم نهضت السيدة بويل من مقعدها بعظمة وكبرياء وغادرت قاعة الطعام فمرّت في طريقها بذلك الشابّ الساخر العجيب ذي الشعر الأشقر، وكان يرتدي رباط رقبة ذا لون أخضر صارخ فقالت لنفسها: يا له من شاب سمج!

ولم يعجبها رباط رقبته وكذلك الطريقة التي نظر بها إليها من ركن عينه، وكان في نظرته إليها سخرية لا شكّ فيها، فقالت لنفسها: هو مصاب بالخبل، هذه هي الحقيقة التي لا ريب فيها.

وأحنى لها كريستوفر هامته محيّياً فردّت تحيّته بإيماءة خفيفة من رأسها، ثم مضت في طريقها إلى

قاعة الاستقبال. كانت المقاعد في قاعة الاستقبال فخمة مريحة، وخصوصاً ذلك المقعد الكبير الوردي اللون، ويحسن بها ألاّ تدَع مجالاً للشكّ في أنها قد اختارت ذلك المقعد ليكون مكانها المفضّل فوضعت حقيبة يدها على المقعد إشارة إلى أنها قد حجزته لجلوسها، ثم اقتربت من أنابيب التدفئة التي تدور حول الغرفة في محاذاة جدرانها ولمستها بيدها فوجدت أنها دافئة ولكنها ليست شديدة الدفء، فلمعت عيناها وارتسمت فيهما نظرة تحدٍّ. لقد وجدَت أخيراً شيئاً تنتقده، ثم نظرت عبر النافذة وكان الجوّ مخيفاً. لا، هي لن تبقى في ذلك الفندق إلاّ إذا جاء نزلاء جُدد وأصبحت الإقامة فيه مثيرة مسلية.

واتفق في تلك اللحظة أن انزلق بعض الجليد الذي تراكم على سطح الفندق وأحدث انزلاقه صوتاً أرعبها فقالت بصوت مرتفع: لا، لن أبقى هنا طويلاً.

ولكنها ما كادت تنطق بهذه العبارة حتى سمعت خلفها ضحكة ساخرة مرتفعة، فنظرت حولها فرأت كريستوفر رين يرمقها بتلك النظرة الغريبة وقال لها: لا، لا أعتقد أنك ستبقين هنا طويلاً!

* * *

الفصل السابع

تعاون الميجور متكليف مع غايلز في إزالة أكوام الجليد التي تراكمت خلف باب المطبخ الطريق المؤدّي إلى حظيرة الدجاج. وقد فعل ذلك بنشاط وإخلاص مما أطلق لسان غايلز بالشكر والثناء فقال متكليف: هذه رياضة مفيدة، والواقع أنني أقوم بنوع ما من الرياضة كل يوم لأحتفظ بلياقتي البدنية.

وهكذا عرف غايلز أن الميجور من هواة الرياضة، وأدرك سرّ إصراره على تناول إفطاره في منتصف الساعة الثامنة صباحاً، وكأنما أدرك متكليف ما يدور بخلد غايلز فقال: كان كرماً من زوجتك أن تطهو لي طعام الفطور في وقت مبكّر وأن تقدّم لي كذلك بيضاً طازجاً.

وكان غايلز نفسه قد استيقظ قبل الساعة السابعة لإنجاز أعمال الفندق، فتعاون مع مولي في إعداد الشاي والبيض وتنظيم الموائد وقاعة الاستقبال، ثم أخذ يفكّر وهو يفعل ذلك في أنه لو كان هو نفسه من نزلاء الفندق في

يوم مثل ذلك اليوم لبقي في فراشه أطول وقت ممكن، أمّا الميجور فقد استيقظ مبكّراً فتناول فطوره قبل أيّ إنسان آخر، ثم أخذ يتجوّل في الفندق كأنه يجد متنفّساً لنشاطه، وما إن رأى غايلز حاملاً المعوَل لإزالة الجليد المتراكم حتى تطوّع لمساعدته.

وراح غايلز يرقبه من ركن عينه ويحاول تقييمه، فوجده رجلاً صلب العود في الحلقة الرابعة من عمره جمّ النشاط يقظ العينين لا يكاد يفوته شيء مما يدور حوله، فتساءل غايلز: تُرى ما الذي جاء بهذا الرجل إلى فندق مانكسويل؟ لعله سُرّح من الجيش ولم يجد عملاً آخر.

* * *

هبط السيد برافتشيني إلى قاعة الطعام متأخّراً، وكان فطوره بسيطاً كغالبية الأوروبّيين، وهو قدح من القهوة وكسرة من الخبز الجافّ، ولكن مولي شعرت بالضيق حين حملت إليه الطعام، فوثب من مقعده وأحنى قامته حتى كاد رأسه أن يمس ركبته وهتف باحترام شديد: أعتقد أنني في حضرة مضيفتي الكريمة. هل أنا على صواب؟

ولم يكن لدى مولي استعداد أو وقت لمثل تلك المجاملات فقالت له بإيجاز إنه على صواب، ثم هرولت إلى المطبخ وشرعت في غسل أقداح الشاي وهي تقول بضيق: إن هذا لا يُطاق! لماذا يتناولون فطورهم في

أوقات مختلفة؟!

وما إن فرغت من الأقداح حتى أسرعت إلى الطابق الأوّل لإعداد غرف النوم، وكانت تعلم أنه يجب ألاّ تنتظر مساعدة من غايلز لأنه كان مشغولاً بإزالة الجليد عن حظائر الدجاج. وأتمّت تنظيف غرف النوم وترتيب الأسرّة بسرعة ومهارة، وحين همّت بتنظيف الحمّامات والمغاسل رنّ جرس الهاتف، فغاظها في البداية أن يعطّلها الهاتف عن عملها ولكنها ما لبثت أن شعرت بارتياح حين وجدت أن هناك ما يصلها بالعالم الخارجي وأن الهاتف لا يزال يعمل، فهبطت الدرَج مسرعة ووصلت إلى قاعة المكتبة وهي تلهث ورفعت السمّاعة وهتفت: مرحباً.

فأجابها صوت مرِح ذو طابع ريفي واضح قائلاً: هل هذا هو قصر مانكسويل؟

- هذا فندق قصر مانكسويل.

- هل أستطيع التحدّث إلى الكابتن غايلز دافيز؟

- يؤسفني أنه لا يستطيع التحدّث بالهاتف الآن. أنا زوجته، فمن المتحدّث؟

- هوغين، مدير شرطة بركشاير.

ففزعت مولي وغمغمت بلسان متلعثم: ماذا؟! نعم، نعم.

- ثمة أمر هام يا سيدة دافيز لا أستطيع أن أوضّحه بالهاتف، ولكنني أرسلت إليكم المفتش تروتر وسيكون لديكم في أية لحظة.

- ولكنه لن يستطيع القدوم؛ فنحن معزولون هنا والطرق مكدّسة بالجليد والمواصلات معطّلة تماماً.

ولكن المتكلّم لم يتردّد ولم يتريّث ولو قليلاً ليفكّر في الأمر فقال بلهجة الواثق: تروتر سيصل إليكم، فأرجو منكِ أنت وزوجك أن تُصغيا جيّداً إلى ما سيقوله لكما وأن تطيعا تعليماته بلا تردّد. هذا كل ما هنالك.

- ماذا...؟

ولم تتمّ سؤالها لأن الطرف الآخر أنهى الحديث ووضع السمّاعة، ويبدو أنه قال كل ما يمكن أن يقال، فوضعت مولي السمّاعة ووقفت مذهولة لحظة، ثم استدارت لتخرج وفُتح الباب فصاحت فجأة قائلة: آه، أهذا أنت يا غايلز؟

ووقف غايلز بالباب ووجهه ملطّخ بتراب الفحم وقطع البرَد تغطّي رأسه وكتفيه ثم قال: ماذا حدث يا عزيزتي؟ لقد نقلت الفحم والخشب وسأقوم الآن بإطعام الدجاج. ولكن ماذا بك؟ وما هذا الفزع الذي يبدو عليك؟

- لقد اتصلت الشرطة بنا يا غايلز.

فهتف غايلز كمن لا يصدّق أذنيه: الشرطة؟!

- نعم، قالوا إنهم أرسلوا إلينا مفتشاً.

- ولكن لماذا؟ ماذا حدث؟ ماذا فعلنا؟!

- لا أدري. هل تظنّ أنهم سيسألوننا عن كمّية الزبدة التي استوردناها من أيرلندا؟

فقطب غايلز حاجبيه وقال بعد تفكير قصير: هل حصلنا على رخصة لجهاز الراديو؟

- نعم، وهي في دُرج مكتبك. أصغِ إليّ يا غايلز، لقد حصلتُ من السيدة بيدلوك على خمَسة أكياس من السكّر لقاء ثوبين قديمين وهذا أمر مخالف للقانون، ولكن المبادلة كانت عادلة وقد تمّت برضانا والسكّر لاستهلاك الفندق وليس للاتجار. يا إلهي! هل ارتكبنا مخالفات أخرى يا غايلز؟

فقال غايلز: منذ أسبوع كادت سيارتي أن تصطدم بسيارة أخرى، ولكن لم يحدث أيّ ضرر ولم تقع أية إصابة، ولكن الخطأ خطأ قائد السيارة الأخرى.

فتنهّدَت مولي وقالت: لا بدّ أننا فعلنا شيئاً مخالفاً للقانون!

فقال غايلز: الكارثة أن كل ما يفعله الإنسان في هذه الأيام مخالف للقانون، ولهذا يشعر الإنسان دائماً بعقدة

الذنب، ولكنني أتوقّع أن يكون لقدوم مفتش الشرطة صلة بإدارة هذا الفندق، فمن المحتمل أن يكون لإدارة الفنادق متطلبات رسمية لا علم لنا بها.

- أنا أعتقد أن الشرطة لا تهتمّ إلا بالخمور والمشروبات المخالفة، ونحن لم نقدّم شراباً لأحد، فماذا يمنعنا بعد ذلك من أن ندير فندقنا على النحو الذي نريده؟

- لا مانع طبعاً، ولكن كل شيء يبدو ممنوعاً ومخالفاً للقانون في هذه الأيام كما قلت.

- يا إلهي! كم أتمنى لو أننا لم نبدأ هذه المغامرة! الجليد سيتساقط طوال عدّة أيام قادمة وسوف يسخط النزلاء ويغضبون، وقد لا تنتهي العاصفة قبل أن يأتوا على كل ما لدينا من طعام ومعلّبات.

فقال غايلز: هوّني عليك يا عزيزتي، كل شيء يبدو الآن مضطرباً وباعثاً على الضيق والضجر، ولكنها أزمة طارئة وستمرّ حتماً.

قال ذلك وقبّل جبينها ثم استطرد قائلاً وهو شارد الذهن: هل تريدين رأيي يا مولي؟ لا بدّ أن يكون الأمر على جانب عظيم من الخطورة وإلاّ ما أرسلوا إلينا أحد مفتّشي الشرطة في مثل هذا الجوّ العاصف.

ثم أشار إلى الجليد الذي يغطّي الأرض في الخارج

واستطرد قائلاً: أجل، لا بدّ أن الأمر جدّ خطير.

وفي تلك اللحظة فُتح الباب ودخلت السيدة بويل وصاحت وعيناها تتألّقان: أنت هنا يا سيد دافيز؟ هل تعلم أن أنابيب التدفئة في قاعة الاستقبال باردة كالثلج؟

- أنا آسف يا سيدة بويل، فنحن نعاني من نقص الفحم، ولكن...

فقاطعته قائلة بحدّة: ولكن أنا أدفع سبعة جنيهات في الأسبوع، سبعة جنيهات، ولا ينبغي أن أموت من البرد!

فصعد الدم إلى وجه غايلز لكنه قال بإيجاز: حسناً، سأرى ما يجب عمله.

وغادر الغرفة ثم تحوّلت السيدة بويل إلى مولي وقالت: معذرة يا سيدة دافيز، ولكنني أودّ أن أقول لكِ إنك تستضيفين هنا شاباً غريب الأطوار في طباعه ورباط عنقه. ثم حدّثيني، ألا يفكّر ذلك الشاب يوماً في تصفيف شعره؟!

فقالت مولي: هو مهندس لامع.

- ماذا قلتِ؟!

- قلت كريستوفر رين مهندس لامع، و...

- يا سيدتي العزيزة، أنا طبعاً سمعت عن السيد

كريستوفر رين وأعلم أنه مهندس عظيم وأنه شيّد كاتدرائية سانت بول. أتظنّون أيها الشباب أنكم تعلمون ما لا يعلمه سواكم؟

- إنما أعني السيد رين الموجود معنا هنا، فاسمه كريستوفر وقد أطلق عليه أبوه هذا الاسم على أمل أن يصبح مهندساً في أحد الأيام، وهو مهندس فعلاً.

فقلبت السيدة بويل شفتيها وقالت: هذه قصّة خرافية لا تجوز عليّ، ولو كنت مكانك لحاولت الاستعلام عنه. ماذا تعرفين عنه؟

- مثلما أعرف عنك يا سيدة بويل، فكلاكما يدفع سبعة جنيهات في الأسبوع وذلك ما يهمّني معرفته، ولا يهمّني إطلاقاً إذا كنت أحبّ عملائي أو لا أحبّهم؛ فذلك أمر ثانوي لا يقدّم ولا يؤخّر.

فاحتقن وجه السيدة بويل غضباً وقالت: أنت في مقتبل العمر وتنقصكِ الخبرة والتجارب، ومن واجبك أن ترحّبي بنصائح من يفوقونك علماً وتجربة، ثم متى جاء ذلك الأجنبي إلى هذا الفندق؟ أنا لم أرَه أمس.

- لقد جاء في منتصف الليل.

- هذا أمر يلفت النظر حقاً، وموعد غير مألوف إطلاقاً.

فقالت مولي بلطف: رفض إيواء المسافرين ذوي

النيّات الطيّبة يخالف القانون يا سيدة بويل، هذه حقيقة لعلك تجهلينها.

فرفعت السيدة بويل رأسها بكبرياء وقالت: كل ما أستطيع أن أقوله هو أن هذا السيد برافتشيني يبدو في نظري...

وهنا قال صوت واضح النبرات أجنبي اللهجة: حذارِ يا سيدتي العزيزة، أنت إذا تحدّثت عن الشيطان فقد يَظهر أمامك.

ففزعت المرأتان ونظرتا حولهما فأبصرتا السيد برافتشيني واقفاً خلفهما.

* * *

الفصل الثامن

كان برافتشيني قد تسلّل إلى الداخل دون أن تشعر به المرأتان، وقد لذّ له أن يرى ذعرهما عندما سمعا صوته فغرق في الضحك، فقالت السيدة بويل: لقد أرعبتَنا! أنا لم أسمع وقع خطواتك حين دخلت.

فأجاب الرجل وهو لا يزال يضحك: ذلك لأنني أسير على أصابع قدميّ فلا يشعر بي أحد حين أدخل أو أخرج، وأنا أجد في ذلك كثيراً من التسلية، ويحدث أحياناً أنني أسمع كلاماً وهذه تسلية أخرى.

ثم أضاف بصوت خافت: ولكنني لا أنسى ما أسمع أبداً.

فقالت السيدة بويل بقلق: حقاً؟! يجب أن آتي بحقيبتي؛ فقد تركتها في قاعة الاستقبال.

ثم خرجَت مسرعة ونظرت مولي إلى برافتشيني وعلى محيّاها دلائل الحيرة، فاقترب منها بسرعة وقال:

أنا أرى دلائل القلق على مُحيّا مضيفتي الفاتنة.

وساد الصمت برهة ثم استطرد قائلاً: ماذا بك يا سيدتي العزيزة؟

فتراجعَت مولي خطوة إلى الوراء؛ فقد كانت ترتاب في ذلك الشخص ولا تشعر نحوه بأية مودّة، ثم قالت ببساطة: كل شيء يبدو اليوم صعباً ومعقّداً، ربما بسبب الجليد.

فحوّل برافتشيني رأسه لينظر من النافذة وقال: أجل، الجليد يجعل كل شيء صعباً أو ميسّراً.

- لست أدري ماذا تعني!

فقال وهو مستغرق في التفكير: هناك أشياء كثيرة لا تدرينها، ومنها إدارة الفنادق.

فرفعت مولي رأسها متحدّية وقالت: أنا لا أزعم أننا نعرف الكثير عن إدارة الفنادق ولكننا مصرّون على النجاح.

- يسرّني أن أسمع ذلك.

فقالت مولي بكثير من الثقة: وأكبر الظنّ أنني لست طاهية فاشلة.

- ليس ثمة شكّ في أنك طاهية جميلة.

فقالت مولي لنفسها: ما أشدّ لجاجة هؤلاء

الأوروبيين وما أسخف مجاملاتهم!

وربما كان الرجل قد أدرك ما يدور بخلدها لأنه عبس فجأة ثم قال بهدوء وبلهجة جدّية: هل تسمحين لي بأن أقول لك كلمة تحذير يا سيدة دافيز؟ يجب عليك أنت وزوجك ألاّ تسرفا في الثقة بالناس. هل لديك معلومات صحيحة عن ضيوفكما؟

فقالت مولي بقلق: وهل ذلك ضروري؟ لقد كنت أظنّ أن من واجبنا أن نستضيف كل من يرغب في ضيافتنا.

فانحنى الرجل إلى الأمام وقال وهو يربّت بيده على كتفها: من الخير دائماً أن تُلمّا ببعض المعلومات عن الأشخاص الذين يبيتون تحت سقفكما، وسأضرب لكِ مثلاً بنفسي، فأنا قد طرقت بابكما في منتصف الليل وقلت إن سيارتي انقلبت وسط الجليد، ولكن ماذا تعرفان عنّي؟ لا شيء على الإطلاق، ومن المحتمل أيضاً أنكما لا تعرفان شيئاً عن سائر النزلاء.

فقالت مولي: السيدة بويل...

ولم تتمّ عبارتها؛ فقد رأت تلك السيدة مقبلة. قالت السيدة بويل: البرد شديد في قاعة الاستقبال، ومن الأفضل أن أجلس هنا.

ثم سارت نحو المدفأة، ولكن برافتشيني تحرّك

بسرعة وسبقها إلى المدفأة وهو يقول: اسمحي لي أن أنظّم لكِ جمرات النار في المدفأة.

فدهشت مولي كما دهشت في الليلة الماضية حين رأت خطواته الفتية النشيطة التي لا تتواءم مع سنّه، ولكنها لاحظت أنه يحرص دائماً على أن يدير ظَهره للضوء، وخُيّل إليها في تلك اللحظة حين رأته راكعاً أمام المدفأة ووهج النار على وجهه أنها عرفت السبب، فقد كان الرجل يطلي وجهه بمهارة كما يفعل الممثّلون. لم يكن ثمة شكّ في أنه يحاول أن يبدو أصغر من سنّه، ولكنها محاولة فاشلة لأن وجهه ينمّ عن سنّه بل ويبدو أكبر من سنّه، أمّا خطواته الفتية فمن المحقّق أنه تدرّب عليها ولكنها خطوات زائفة مثل وجهه.

وفي تلك اللحظة دخل الميجور متكليف فنقلها دخوله من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة. قال الميجور: يخيل إليّ يا سيدة دافيز أن الماء في أنابيب...

وخفض صوته حياءً واستطرد قائلاً: في أنابيب دورة المياه قد تجمّد.

فتأوّهت مولي وصاحت: يا له من يوم مزعج! الشرطة، ثم تجمُّد الماء في الأنابيب. يا إلهي، ماذا سيحدث لنا بعد ذلك؟

وهنا سقط من يد برافتشيني القضيب الحديدي الذي

يحرّك به نار المدفأة وكفّت السيدة بويل عن التطريز، ونظرت مولي إلى متكليف وراعها ما طرأ على سحنته من جمود، وكان كل إحساس قد غاص فجأة من وجهه كما لو كان ذلك الوجه قد نُحِت من خشب. قال متكليف بصوت متقطّع: الشرطة؟ هلَ قلتِ... الشرطة؟!

وشعرت مولي بأن الجمود الذي يعلو قسمات وجهه إنما يخفي وراءه شعوراً بالغ العنف، لعله الشعور بالخوف أو التحفّز أو الانفعال ولكن هناك شعوراً ما، ثم قالت لنفسها: هذا رجل خطر وما في ذلك شك.

وقال الميجور مرة أخرى ولكن بصوت ينمّ عن الفضول: ماذا حدث من رجال الشرطة؟

فأجابت مولي: لقد اتصلوا بنا هاتفياً في التوّ وقالوا إنهم سيرسلون إلينا أحد المفتشين.

ثم نظرت عبر النافذة واستطردت قائلة: ولكنني لا أظنّ أنه سيتمكّن من الحضور.

فقال وهو يتقدّم نحوها: ولكن لماذا يرسلون أحد المفتشين إلى هذا الفندق؟

وقبل أن تتمكّن مولي من الإجابة فُتح الباب ودخل غايلز قائلاً بغضب: ذلك الفحم اللعين أشدّ صلابة من الحجارة!

ثم نظر حوله وسأل: هل حدث شيء؟

فقال متكليف: لماذا؟ لقد سمعتُ أن أحد مفتشي الشرطة سيحضر إلى هنا.

فهزّ غايلز كتفيه وقال: لا أحد يستطيع الحضور في مثل هذا الجوِ لأن ارتفاع الجليد يربو على ستة أقدام والطرق كلّها مغلَقة.

وفي تلك اللحظة سمعوا ثلاث طرقات لم يعرفوا مصدرها في البداية، وأخيراً أفلتت من فم مولي صيحة خافتة وأشارت إلى النافذة، فرأى القوم رجلاً ينقر بإصبعه على زجاج النافذة، ولاحظوا أنه يستخدم أدوات الانزلاق على الجليد ولذلك لم يدهشهم وصوله إلى الفندق رغم العقبات التي تعترض الطريق. وقد جمد غايلز في مكانه لحظة وقد ارتسمت على وجهه دلائل الدهشة، ولكنه سرعان ما تمالك نفسه واقترب من النافذة وراح يعالجها حتى فُتحت، فقال القادم: شكراً لك يا سيدي.

كان له صوت مرِح ووجه لوّحته الشمس، ثم قدّم نفسه قائلاً: المفتش تروتر.

فحملقت السيدة بويل نحوه وقالت: أنتَ في مقتبل العمر ولا يمكن أن تكون مفتش شرطة!

فظهرَت دلائل الاستياء على وجه تروتر وكان في

مقتبل العمر حقاً، ولكنه قال: أنا لست من صغر السنّ كما أبدو يا سيدتي.

وطافت عيناه بالحاضرين ثم استقرّت على غايلز وقال: هل أنت السيد دافيز؟ هل أستطيع أن أخلع أدوات الانزلاق وأضعها في مكان ما؟

- بكل تأكيد، تعالَ معي.

ودخل المفتش من النافذة وتبع دافيز إلى الخارج، وما إن أُغلق باب البهو خلفهما حتى قالت السيدة بويل: يخيّل إليّ أنه لا عمل لرجال الشرطة في هذه الأيام غير الانزلاق على الجليد والاستمتاع برياضة الشتاء!

واقترب برافتشيني من مولي وقال بسرعة وصوت خافت: لماذا أرسلتِ في طلب رجال الشرطة يا سيدة دافيز؟

وكان في عينه نظرة خبيثة أزعجتها وروّعتها فتراجعَت خطوة إلى الوراء ثم صاحت بلهجة العاجز: أنا لم أرسل في طلبهم، أؤكّد لك أنني لم أرسل في طلبهم!

ثم فُتح الباب ودخل كريستوفر رين وهو منفعل، ثم سأل بصوت ثاقب: مَن ذلك الرجل الذي بالبهو ومن أين جاء؟! هو شديد المرح وممتلئ نشاطاً وحيوية!

فقالت السيدة بويل: صدّق أو لا تصدّق، هذا رجل

شرطة من هواة الانزلاق!

وكان صوتها مليئاً بالاحتقار، وكان وجود شرطي ينزلق على الجليد هو القشّة التي قصمت ظهر البعير، وقال متكليف يحدّث مولي: معذرة يا سيدة دافيز. هل تسمحين لي باستخدام الهاتف؟

- بكل تأكيد يا ميجور متكليف.

فتناول متكليف سمّاعة الهاتف في حين قال كريستوفر رين: هذا المفتّش على جانب عظيم من الوسامة، مثله في ذلك مثل الكثيرين من رجال الشرطة.

وصاح متكليف بضجر: مرحباً، مرحباً.

ثم التفت إلى مولي وقال: لقد صمت الهاتف تماماً يا سيدة دافيز.

فقالت: ولكنه كان على ما يرام منذ لحظة، لقد...

ولم تتمّ عبارتها؛ فقد انفجر كريستوفر رين ضاحكاً ضحكة هستيرية مرتفعة وصاح: إذن نحن الآن في عزلة تامّة. هذا أمر يبعث على الضحك حقاً.

فقال متكليف بخشونة: أنا لا أرى ما يدعو إلى الضحك!

وقالت السيدة بويل: بالطبع، ليس ثمة ما يدعو إلى الضحك.

ولكن كريستوفر رين لم يكفّ عن الضحك واستمرّ يقهقه حتى اغرورقت عيناه بالدموع وكان كمن أصيب بنوبة، وأخيراً وضع إصبعه على شفتيه محذّراً وقال بهمس: صه، ها هو ذا الشرطي قادم.

* * *

الفصل التاسع

عاد غايلز ومفتش الشرطة، وكان الأخير قد تخلّص من أدوات الانزلاق وأزال قطع البرَد التي علقت بثيابه وأمسك بيده دفتراً وقلماً، ولم يسَع الآخرين حين أبصروا به إلاّ الاعتراف بينهم وبين أنفسهم بأنه قد أشاع في جوّ المكان شيئاً من الجدّية والرهبة. قال غايلز: مولي، المفتش تروتر يريد التحدّث إلينا على انفراد.

فتبعتهما مولي إلى خارج الغرفة وقال غايلز: لنذهب إلى غرفة المكتب.

ثم قصدوا إلى الغرفة الصغيرة التي أطلقوا عليها هذا الاسم، وهناك أغلق المفتش تروتر الباب بهدوء وتحوّل إليهما، فقالت مولي بجزع: ماذا فعلنا أيها المفتش؟ ما هي المخالفة أو الجريمة التي تنسبونها إلينا؟

فحملق تروتر إلى وجهها ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة وقال: ماذا فعلتما؟ لا شيء إطلاقاً يا سيدتي، وأنا آسف إذا كان قد حدث شيء من سوء

الفهم. لا يا سيدة دافيز، الأمر يختلف تماماً عما تظنّين، فهو مجرّد نوع من الحماية البوليسية. هل فهمتِني؟

ولكنها لم تفهم شيئاً وكذلك غايلز، فقال المفتش ردّاً على الأسئلة التي لم ينطقا بها: الموضوع يتعلّق بحادث مصرع السيدة ليون، السيدة مورين ليون التي قُتلَت في لندن منذ يومين. لا شكّ أنكما قرأتما عن هذه الجريمة في الصحف.

فقالت مولي: أجل.

قال المفتش: أوّل شيء أريد معرفته الآن هو هل كانت لكما أية صلة بالسيدة ليون؟

فقال غايلز ومولي في وقت واحد: لا!

- ذلك ما توقّعناه، ولكن يجب أن تعلما أن ليون ليس الاسم الحقيقي للمرأة القتيلة، تلك المرأة لها سجلّ في إدارة الشرطة وبصماتها موجودة بذلك السجلّ، وهكذا أمكن معرفة شخصيتها بسهولة. اسمها الحقيقي هو مورين غريغ، وزوجها جون غريغ كان مزارعاً في لونغريدج وهي مزرعة قريبة من هنا. ألم تسمعا قطّ عن قضية مزرعة لونغريدج؟!

وساد صمت عميق لم يقطعه سوى انفصال قطعة من الجليد وتدحرجها على سطح الفندق ثم سقوطها على الأرض، ومضى تروتر في حديثه فقال: لقد حدث

في أثناء الحرب عندما توالت غارات الطائرات الألمانية على لندن في سنة ١٩٤٠ أن قرّرت الحكومة البريطانية تهجير الأطفال من لندن إلى المقاطعات البعيدة لتجنّبهم ويلات الحرب. وكان بين الأطفال المهاجرين ثلاثة أشقّاء، طفلان وطفلة، عُهد بهم إلى السيد غريغ بمزرعة لونغريدج، ولكن أحد هؤلاء الأطفال ما لبث أن تُوفّي بسبب سوء المعاملة والإهمال الإجرامي، وأثارت قضيّة ذلك الطفل ضجّة كبيرة وحوكم غريغ وزوجته فحُكِم عليهما بالسجن، ولكن غريغ تمكّن من الفرار في أثناء نقله إلى السجن، وسرَق سيارة وانطلق بها في محاولة يائسة للإفلات من الشرطة، ولكنه اصطدم بإحدى سيارات النقل وقُتل لساعته، أمّا زوجته فقد قضت المدّة التي حُكم بها عليها، وقد أُطلق سراحها منذ شهرين.

فقال غايلز: وها هي قد قُتلَت، ولكن من تظنّون أنه القاتل؟

فلم يُجِب تروتر ومضى في حديثه قائلاً: هل تذكر هذه القضية يا سيدي؟

فهزّ غايلز رأسه سلباً وأجاب: في سنة ١٩٤٠ كنتُ مع الأسطول في البحر الأبيض المتوسّط.

فنظر تروتر إلى مولي وقال: هل سمعتِ أنت يا سيدتي عن هذه القضية؟

فأجابت وهي لاهثة الأنفاس: أنا... أذكر أنني سمعتُ عن هذه القضية، ولكن ما صلتنا نحن بها؟

- المسألة أنكما في خطر يا سيدة دافيز.

فصاح غايلز بلهجة مَن لا يصدّق ما سمع: نحن في خطر؟!

- إليك ملخّص الموضوع يا سيدي. لقد وُجد دفتر صغير بالقرب من مكان الجريمة وكان مسجَّلاً بهذا الدفتر عنوانان، أحدهما عنوان المنزل ٧٤ بشارع كالفر...

فسألت مولي: هل هذا المنزل هو الذي قُتلَت فيه تلك المرأة؟

- نعم يا سيدة دافيز، أمّا العنوان الثاني فهو اسم قصر مانكسويل.

فصاحت مولي: ماذا؟ عنوان هذا القصر؟!

- نعم، ولهذا وجد مدير الشرطة أن من الضروري الاستفسار منكما عمّا إذا كانت لكما أو لهذا القصر أية علاقة بقضية مزرعة لونغريدج.

فأجاب غايلز: لا توجد أية علاقة على الإطلاق. ربما كُتب عنوان هذا القصر بالدفتر مصادفة.

فسأل تروتر بهدوء: مدير الشرطة لا يعتقد أن الأمر

مجرّد مصادفة، وكان يريد الحضور بنفسه لولا أنه وجد ذلك مستحيلاً بسبب سوء الأحوال الجوّية، ولما كنتُ من هواة الانزلاق فقد أرسلني بدلاً منه وزوّدني بتعليمات مشدّدة للحصول على معلومات كاملة عن كل شخص في هذا الفندق، كما طلب إليّ أن أتصل به هاتفياً وأن أتخذ من الإجراءات ما أراه ضرورياً للمحافظة على سلامة النزلاء.

فهتف غايلز بحدّة: سلامة النزلاء؟! ماذا تعني يا رجل؟ هل تظنّ أن أحداً سيُقتَل هنا؟

فردّ تروتر معتذراً: لا أريد أن أُزعج هذه السيدة، ولكن الجواب هو نعم. مدير الشرطة يظنّ ذلك.

- ولكن ماذا يمكن أن يكون الدافع إلى...

ولم يتمّ غايلز عبارته؛ فقد قاطعه تروتر بقوله: ذلك ما جئت لأكتشفه.

- كل هذا ضرب من الجنون!

- أجل يا سيدي، وهذا الجنون هو مبعث الخطورة.

فقالت مولي: هل لديك أيّ شيء تريد أن تقوله يا سيدي المفتش؟

- نعم يا سيدتي، لقد وُجدَت في إحدى صفحات

الدفتر هذه الكلمات: «ثلاثة فئران عمياء»، وُوجدَت فوق جثة المرأة ورقة كُتب عليها: «هذه هي الأولى»، وتحتها رُسِم ثلاثة فئران وعلامات موسيقية لمطلع أغنية «ثلاثة فئران عمياء» التي يغنّيها الأطفال.

وهنا راحت مولي تترنّم بالأغنية بصوت خافت قائلة: ثلاثة فئران عمياء، انظر كيف تعدو، هي تعدو وراء زوجة المُزارع، وهي...

ثم كفّت فجأة وغمغمت قائلة: هذا مخيف، مخيف! قلتَ إنه كان هناك ثلاثة أطفال أشقياء، أليس كذلك؟

- بلى يا سيدة دافيز، كانوا ثلاثة أطفال، طفل في الخامسة عشرة من عمره، وطفلة في الرابعة عشرة، وطفل في الثانية عشرة، وهذا الأخير هو الذي مات.

- وماذا حدث للطفلين الآخرين؟

- أعتقد أن إحدى العائلات تبنّت الفتاة، ولكننا لم نستطع العثور على أثرها، أمّا الصبي فيجب أن يكون الآن في الثالثة والعشرين من عمره، وقد فقدنا أثره أيضاً، ويقال إنه كان مصاباً بخبل وقد التحق بالجيش واختفى. ويؤكّد طبيب الجيش أنه كان مريضاً عقلياً.

فسأل غايلز: هل تظنّون أنه هو الذي قتل السيدة ليون وأنه مجرم معتوه وربما يأتي إلى هنا لغرض نجهله؟

- بل نظنّ أن هناك صلة ما بين أحد الأشخاص هنا وحادث مزرعة لونغريدج، ومتى استطعنا تحديد هذه الصلة أصبح من السهل اتّقاء الخطر المنتظر. أنت تقول يا سيدي إنه لم يكن لك صلة بحادث المزرعة، فهل ذلك ما تقولينه يا سيدة دافيز؟

- نعم، نعم.

- هل في استطاعتكما أن تذكرا لي بالتحديد أسماء جميع نزلاء الفندق؟

فذكرا له الأسماء وهي: السيدة بويل، والميجور متكليف، والسيد كريستوفر رين، والسيد برافتشيني. فسجّل تروتر تلك الأسماء في دفتره ثم سأل: وما أسماء الخدم؟

فردّت مولي: ليس لدينا خدم، وبالمناسبة يجب أن أسرع إلى المطبخ لأطهو البطاطا.

ثم انطلقت مسرعة وتحوّل تروتر إلى غايلز وسأله: ماذا تعرف عن هؤلاء الناس يا سيدي؟

- أنا؟ نحن...

وصمت قليلاً ثم قال بهدوء: الواقع أننا لا نعرف عنهم شيئاً يا سيد تروتر؛ فقد كتبَت إلينا السيدة بويل من أحد فنادق بورنماوث، وكتب الميجور متكليف

من ليمنغتون، وكتب كريستوفر رين من أحد فنادق كنسنغتون، أمّا السيد برافتشيني فقد هبط علينا من السماء! لقد انقلبت سيّارته في الطريق على مقربة من هنا فلجأ إلينا، ولكنني أعتقد أن مع كلّ منهم بطاقته الشخصية وبطاقة التموين وغير ذلك من الأوراق.

- سأبحث أوراقهم ووثائقهم بطبيعة الحال.

- لعل من حُسن الحظّ أن الأحوال الجوّية ساءت إلى هذا الحدّ، وبذلك لن يستطيع القاتل الوصول إلينا، أليس كذلك؟

- لعله ليس بحاجة إلى ذلك يا سيد دافيز.

- ماذا تعني؟

فتردّد تروتر لحظة ثم قال: يجب أن تتذكّر يا سيدي أنه ربما كان حاضراً هنا فعلاً!

فنظر إليه غايلز بدهشة وقال: ماذا تعني؟!

- لقد قُتلَت السيدة غريغ منذ يومين، وقد جاء ضيوفك جميعاً في هذين اليومين.

- هذا صحيح، ولكنهم حجزوا غرَفهم قبل ذلك بوقت طويل فيما عدا السيد برافتشيني.

فتنهّد تروتر وقال بصوت مُجهَد: تلك الجرائم قد وُضعت خطّتها سلفاً.

- الجرائم؟! لم تُرتَكب سوى جريمة واحدة، فما سبب توقّعك لجريمة أخرى؟

- أنا لا أتوقّع حدوث جريمة أخرى لأنني سأحاول منعها، لكنني أتوقّع محاولات لارتكاب جريمة أو أكثر.

- إذا صحّ ما ذكرته عن القاتل فلن تجد هنا مَن هو في مثل سنّه سوى كريستوفر رين.

* * *

الفصل العاشر

لحق المفتش تروتر بمولي في المطبخ وقال لها: هل لكِ في مرافقتي إلى قاعة المكتبة يا سيدة دافيز؟ فأنا سألقي بياناً على جميع مَن في الفندق، وقد تفضّل السيد دافيز وذهب للتمهيد.

- حسناً، فقط دعني أتمّ طهي هذه البطاطا أولاً. أنا أتمنى في بعض الأحيان لو أن السيد وولتر رالي لم يُحضر معه هذه البطاطا اللعينة من أمريكا!

ولزم تروتر الصمت، فقالت مولي: أنا لا أكاد أصدّق القصّة الخيالية التي رويتَها لنا يا سيد تروتر؛ فهي من الغرابة بحيث...

ولكنه قاطعها بقوله: هي ليست خيالية يا سيدة دافيز، هي حقائق بحتة.

فسألته بفضول: هل تعرف أوصاف القاتل؟

- إنه متوسّط القامة ويرتدي معطفاً أسود وقبّعة

خفيفة وصوته أشبه بالهمس، وكان يخفي جزءاً من وجهه بكوفية من الصوف.

- هذه الأوصاف تنطبق على الكثيرين.

وصمت لحظة ثم قال: لقد رأيتُ في بهو هذا الفندق ثلاثة معاطف سوداء وثلاث قبّعات خفيفة.

- لا أظنّ أن أحداً من نُزَلاء الفندق جاء من لندن.

- حقاً؟

ثم أسرع إلى إحدى الموائد فتناول جريدة كانت فوقها وقال: هذه صحيفة الإيفننغ ستاندارد التي تصدر في لندن وتاريخها ١٩ فبراير، أي أنها صدرت منذ يومين، فلا بدّ أن يكون أحدهم قد أحضرها معه من لندن، أليس كذلك؟

فدهشت مولي وهتفت قائلة: هذا عجيب! من أين جاءت هذه الصحيفة؟

- لا يجب أن تغرّك الظواهر يا سيدة دافيز، أنتِ لا تعرفين شيئاً عن هؤلاء الناس الذين يعيشون معكِ تحت سقف واحد، فهل أفهم من ذلك أنكِ والسيد دافيز حديثا العهد بإدارة الفنادق؟

- نعم، هو ذلك.

وشعرَت فجأة بأنها جاهلة وساذجة وحمقاء ثم قال: ويخيل إليّ كذلك أنكما تزوّجتما منذ وقت قصير، أليس كذلك؟

فأجابت وقد احمرّ وجهها حياءً: بلى، لقد تزوّجنا منذ عام، وكان زواجنا فجائياً.

فقال وهو يبتسم بلطف: كان حبّاً من أوّل نظرة؟

- نعم، تزوّجنا ولم يمضِ على تعارفنا أسبوعان.

ثم تذكّرَت الأربعة عشر يوماً الخالدة التي سبقت زواجها. لقد شعرت حين رأت غايلز لأوّل مرة بمثل ما يشعر به التائه في الصحراء حين يرى واحة ظليلة، فرسمَت ذكريات تلك الأيام على شفتيها ابتسامة سعيدة، وعندما عادت إلى الحاضر لاحظت أن تروتر ينظر إليها بعطف ثم قال: زوجك ليس من أهل هذه الناحية، أليس كذلك؟

- بالفعل هو ليس من هذه المنطقة وإنما هو من لنكولنشاير.

ولم تكن تعرف الكثير عن طفولة غايلز ونشأته لأنه كان يتجنّب الحديث عن تلك الفترة من حياته، ولعل ذكرياته عنها كانت تمضّه وتؤلمه. قال تروتر: أنتما في مقتبل العمر وأعتقد أنكما ما زلتما تفتقران إلى الخبرة والتجرِبة لإدارة فندق كهذا.

- لا أعلم، أنا في الثانية والعشرين من عمري، و...

ولم تتمّ عبارتها؛ فقد فُتح الباب ودخل غايلز وقال: لقد أعددتُ العدّة للاجتماع يا سيدي المفتش وأفضيتُ إلى النزلاء بفكرة عن الموضوع.

فقال تروتر: هذا يوفّر علينا بعض الوقت. هل أنتِ على استعداد يا سيدة دافيز؟

❊ ❊ ❊

كانت هناك أربعة أصوات تتحدّث كلّها في وقت واحد عندما دخل المفتش تروتر قاعة المكتبة، وكان أكثر الأصوات ارتفاعاً وانفعالاً هو صوت كريستوفر رين الذي أعلن أن الموقف أصبح مثيراً للغاية وأنه لن يغمض له جفن في تلك الليلة وأنه يتحرّق شوقاً إلى معرفة المزيد من التفصيلات، وفي نفس الوقت كانت السيدة بويل تقول باستياء: لم أكن أتصوّر أن شرطتنا من العجز بحيث تدَع القتلة والمجرمين يتجوّلون في طول البلاد وعرضها بكل حرية على هذا النحو!

أمّا السيد برافتشيني فحركات يديه كانت أفصح من لسانه. لقد كان يحاول أن يقول بيديه ما عجز عنه صوته الذي غرق في خضمّ من هدير السيدة بويل في حين راح الميجور متكليف يعبّر عن وجهة نظره بكلمات قليلة

وعبارات مقتضية، وكان كل ما يريده هو معرفة المزيد عن الحقائق.

وانتظر تروتر دقيقة أو دقيقتين ثم رفع يده بحزم، ومن عجب أن الجميع كفّوا عن الكلام فوراً وساد صمت مطبق، فقال: شكراً لكم. أعتقد أن السيد دافيز قد ذكر لكم بإيجاز الأسباب التي دعتني إلى القدوم إلى هذا الفندق. أنا أريد أن أعرف شيئاً واحداً، شيئاً واحداً فقط، وأن أعرفه بسرعة. مَن منكم كانت له صلة ما بقضية مزرعة لونغريدج؟

فخيّم السكون وساد الصمت وتحوّلت أربعة وجوه جامدة إلى المفتش تروتر، وتوارى كل أثر للانفعال والهستيريا فزالت كلّها كما تزول فقّاعات الهواء من صفحة الماء، ثم تكلّم المفتش تروتر مرة أخرى بمزيد من الإلحاح والتأكيد فقال: أرجوكم أن تفهموني جيداً، لدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأن أحدكم معرّض لخطر مميت ويجب أن أعرف مَن منكم ذلك الواحد.

فلم يتكلّم أو يتحرّك أحد، فقال تروتر وفي صوته رنة غضب: حسناً، سأسألكم واحداً بعد الأخر. سيد برافتشيني.

ارتسمت ابتسامه باهته على شفتَي برافتشيني ورفع يده محتجاً وقال: أنا غريب عن هذه المنطقة أيها المفتش،

ولا أعرف شيئا عن الأحداث المحلية التي وقعت فيها منذ سنوات.

ولم يُضِع تروتر وقته وقال بإيجاز: وماذا عن السيدة بويل؟

فأجابت: الواقع أنني لا أعلم لماذا ينبغي أن تكون لي أية صلة بذلك الحادث المحزن!

- وماذا عن السيد رين؟

فقال كريستوفر بصوت ثاقب: لقد كنت طفلاً عندما وقع حادث المزرعة، فأنا لا أتذكر عنه شيئاً بل ولم أسمع عنه.

- وماذا عن الميجور متكليف؟

فقال الميجور بإيجاز: لقد قرأت عن الحادث في الصحف وكنت وقتئذٍ مع فرقتي في أدنبره.

قال تروتر وهو ينقل بصره بين النزلاء: هل هذا كل ما عندكم؟

فساد الصمت مرة أخرى، وتنهّد تروتر في ضيق ونفاد صبر ثم قال: إذا قُتل أحدكم فلا تلوموا إلاّ أنفسكم.

ثم دار على عقبيه وغادر الغرفة، فقال كريستوفر: أيها السادة، هذه مأساة حقاً! ولكن أرأيتم كم هو وسيم

هذا المفتش؟ أنا شديد الإعجاب برجال الشرطة؛ فكل تصرّفاتهم تدلّ على الحزم والصلابة والثقة بالنفس، ولكن الموقف بالإجمال مثير إلى أقصى حدّ. «ثلاثة فئران عمياء» ما هي نغمة هذه الأغنية؟ ثم راح يصفر الأغنية بصوت خافت.

فصاحت مولي بطريقة لاإرادية: صه!

فدار كريستوفر على عقبيه وحملق إلى محيّاها وقال وهو يضحك: لماذا الانزعاج يا عزيزتي؟ هذه الأغنية هي علامتي المميّزة. أنا لم أُتهم في جريمة قبل الآن، وإذا اتُّهمتُ سأجد في ذلك متعة عظيمة.

فقالت السيدة بويل: كل هذا هراء، أنا لا أصدّق كلمة واحدة ممّا قاله المفتش.

فقال كريستوفر وفي عينيه بريق خبيث: صبراً يا سيدة بويل حتى أتسلّل وراءكِ وأُحيط عنقك بيدي.

ففزعت مولي وقال غايلز بغضب: أنت تزعج زوجتي يا سيد رين، فضلاً عن أن دعابتك تنمّ عن فساد الذوق.

وقال متكليف: ليس هذا وقت الدعابة.

فقال كريستوفر: ولِمَ لا؟ الأمر كلّه دعابة، دعابة رجل مجنون، وهذا سرّ طرافتها.

ثم أجال البصر بينهم وضحك مرة أخرى وقال: كم

أودّ أن تنظروا إلى وجوهكم!

ثم غادر الغرفة مسرعاً. وكانت السيدة بويل أوّل من استردّ أنفاسه فقالت: يا له من شاب فاسد الذوق!

فقال متكليف: لقد روى لي أنه دُفن تحت الأنقاض في إحدى الغارات الجوّية وظلّ طوال ثمانٍ وأربعين ساعة، وأعتقد أن ذلك يفسّر سلوكه بما فيه الكفاية.

فقالت السيدة بويل ببرود: ما أكثر الأعذار التي يلتمسها الناس ويبرّرون بها تلف أعصابهم! لقد عانيت من الحرب أكثر ممّا عانى أيّ إنسان آخر، ومع ذلك فأعصابي لم يتطرّق إليها ضعف أو وهن.

قال متكليف: ذلك من حسن حظك يا سيدة بويل.

- ماذا تعني؟

قال متكليف بهدوء: أعتقد أنك كنتِ الشخص المسؤول عن تهجير الأطفال إلى هذه المنطقة في سنة ١٩٤٠، أليس كذلك يا سيدة بويل؟

ثم نظر إلى مولي فأومأت برأسها علامة الموافقة، واحمرّ وجه السيدة بويل غضباً ثم صاحت: وماذا في ذلك؟!

فقال متكليف وهو يحدّق إلى وجهها: أنت

المسؤولة عن إرسال أولئك الأطفال الثلاثة إلى مزرعة لونغريدج.

- ومن ذا الذي يحمّلني مسؤولية ما حدث يا ميجور متكليف؟ لقد كان صاحب المزرعة وزوجته شخصين لطيفين أو هكذا خُيّل لي وكانا يتوقان إلى استضافة الأطفال، فلا لوم عليّ بحال ولا أحسبني مسؤولة عمّا حدث للأطفال بعد ذلك.

فصاح غايلز بحدّة: لماذا لم تقولي ذلك للمفتش تروتر؟

فقالت السيدة بويل بحدّة: لا شأن للشرطة في هذا الموضوع، ثم إنني أستطيع حماية نفسي.

فقال متكليف بهدوء: يحسن بك أن تحرصي على سلامتك.

ثم غادر الغرفة أيضاً، وغمغمت مولي قائلة: هذا صحيح، لقد كنتِ المسؤولة عن تهجير الأطفال في هذه المنطقة. أنا أذكر ذلك جيداً.

فنظر إليها غايلز بدهشة وقال: هل كنت تعلمين ذلك يا مولي؟

قالت مولي تحدّث السيدة بويل: وكنتِ تقيمين في ذلك البيت الأبيض الكبير، أليس كذلك؟

قالت السيدة بويل بمرارة: لقد استولى الجيش على هذا البيت وخرّبه تخريباً.

وهنا ضحك برافتشيني، ضحك بهدوء أولاً ثم استغرق في الضحك وقال بأنفاس متقطّعة: معذرة؛ فأنا أرى كل هذا مدعاة للضحك!

وفي تلك اللحظة عاد المفتش تروتر ونظر إلى برافتشيني مستنكراً ثم قال ببرود: يسرّني أن يجد الجميع فيما نحن بصدده ما يدعوهم إلى الضحك.

فقال برافتشيني معتذراً: أنا آسف يا سيدي المفتش، آسف بصفة خاصّة لأنني أفسدت الأثر الرهيب الذي تركه تحذيرك في النفوس.

فهزّ تروتر كتفيه وقال: لقد بذلتُ قصارى جهدي لتوضيح الموقف.

ثم التفت إلى مولي وقال: هل أستطيع استخدام الهاتف يا سيدة دافيز؟

فقال برافتشيني: أنا أكرّر اعتذاري وسأنسحب بهدوء.

ولم ينسحب بهدوء وإنما اجتاز الغرفة بتلك الخطى الفتية المتوثّبة التي لاحظتها مولي من قبل، فقال غايلز: يا له من عجوز غريب الأطوار!

قال تروتر: أنا أرى في وجهه وسلوكه طابع الإجرام، ولا يمكن أن أثق فيه قيد شعرة.

فهتفت مولي: هل تظنّ أنه...؟ ولكن لا، هو متقدّم في السنّ جداً، أم لعله ليس متقدّماً في السنّ! هو يستعمل الدهون والأصباغ بكمّيات وفيرة كي يبدو شاباً، ثم هو يمشي مشية فتية، لعله تنكّر كي يبدو عجوزاً بينما هو... ما رأيك أيها المفتش؟ هل تظن أنه...

فقاطعها تروتر قائلاً بحدّة: هذه الافتراضات والتخمينات لن توصلنا إلى نتيجة يا سيدة دافيز، يجب الآن أن أتصل بالكابتن هوغين.

ثم مشى إلى حيث كانت آلة الهاتف فقالت مولي: لن تستطيع الاتصال به لأنه معطّل.

فصاح تروتر وهو يدور على عقبَيه: ماذا؟!

وأثّرت صيحته في كل من سمعها، وقال على الفور: متى تعطّل؟

- لقد حاول الميجور متكليف استخدامه قُبيل حضورك مباشرة.

- لكنه كان يعمل قبل ذلك، ألم يتّصل بك الكابتن هوغين؟

- بلى، لقد اتصل وكان ذلك نحو الساعة العاشرة،

ولكن يبدو أن سقوط الجليد قطع الأسلاك.

وظهرت دلائل الاهتمام على وجه تروتر وقال: مَن يدري؟! لعل الأسلاك قُطعت عمداً!

- هل تظنّ ذلك؟

- يجب أن أستوثق.

ثم غادر الغرفة مسرعاً، وتردّد غايلز لحظة ثم لحق به فهتفت مولي: يا إلهي! لقد حان وقت الغداء، يجب أن أسرع وإلاّ فلن نجد ما نأكله.

ثم هرولت إلى الخارج في حين قلبت السيدة بويل شفتها وغمغمت قائلة: يا له من فندق! مَن ذا الذي يدفع سبعة جنيهات للإقامة في مكان كهذا؟

* * *

الفصل الحادي عشر

انحنى المفتش تروتر وراح يتعقّب الأسلاك الهاتفية فسأله غايلز: هل لديكم وصلة داخلية؟

- نعم، في غرفة نومنا بالطابق الأوّل. هل أذهب لأفحصها؟

- أرجو أن تفعل.

ثم فتح تروتر النافذة وأطلّ منها بعدما أزال ما علق بها من قطع الجليد في حين أسرع غايلز إلى الطابق الأوّل، وفي تلك الأثناء كان برافتشيني يسير في قاعة الاستقبال جيئة وذهاباً، ثم ما لبث أن وقف أمام آلة البيانو وفتحها وجلس على مقعد أمامها، ثم راح يدقّ بإصبع واحدة أغنية «ثلاثة فئران عمياء، انظر إليها كيف تجري». وفي نفس الوقت كان كريستوفر رين يتجوّل في غرفة نومه بنشاط ويصفر، وفجأة سَمع الصّفير فجلس على حافّة فراشه ودفن وجهه بين كفّيه، وراح يبكي ويتمتم كالأطفال قائلاً: لا، لن أستطيع الاستمرار!

ثم تبدّلت حاله بغتة ونهض واقفاً وبسط كتفيه وقال: يجب أن أستمرّ، يجب أن أستمرّ إلى النهاية.

* * *

وقف غايلز بجوار آلة الهاتف في غرفة نومه ثم انحنى إلى الأمام وراح يتعقّب الأسلاك، وفجأة رأى قفّاز مولي ملقىً على الأرض فالتقطه، ولم يكَد يفعل ذلك حتى سقطت من القفّاز تذكرة حافلة حمراء فنظر غايلز إلى التذكرة وهي تتطاير في الهواء، ثم وهي تسقط على الأرض اكفهرّ وجهه وانقلبت سحنته وبدا كأنه رجل آخر غير الرجل، ثم مشى إلى الباب ببطء كمن يمشي في حُلم، ففتحه ووقف لحظة ينظر إلى الدهليز المؤدّي إلى الدرَج، وفي نفس الوقت كانت قد فرغت مولي من تقشير البطاطا ووضعتها في إناء ووضعت الإناء فوق النار، ثم ألقت نظرة على ما في داخل الفرن فظهرت على وجهها دلائل الارتياح؛ فقد كان كل شيء يسير بانتظام وفقاً للتوقيت، ثم حانت منها التفاتة إلى مائدة المطبخ فوقع بصرها على جريدة الإيفننغ ستاندارد التي يرجع تاريخها إلى يومين سابقين فقطبت ما بين حاجبيها قائلة في نفسها: ليتني أستطيع أن تذكّر مَن أتى بهذه الجريدة!

وفجأة ارتفعت يدها إلى جبينها وهتفت: لا، لا يمكن أن يكون ذلك!

ثم نظرت حولها في المطبخ وكأنها تراه لأوّل مرة ثم

راحت تردّد: لا ، لا يمكن أن يكون ذلك!

ثم سارت نحو الباب ببطء كمن يسير وهو نائم، ففتحَته وأصاخت السمع فطرق أذنها صوت صفير يردّد نغم تلك الأغنية الرهيبة، فمرّت بجسدها رعدة شديدة ثم عادت أدراجها إلى المطبخ وأجالت بصرها في أرجائه مرة أخرى ثم رجعت تجاه الباب. وفي الوقت نفسه كان الميجور متكليف يهبط الدرَج الخلفي بهدوء، حتى إذا ما وصل إلى البهو تريّث دقيقة أو دقيقتين ثم فتح الخزانة الكبيرة القائمة تحت الدرَج وأطلّ بداخلها فوجد أن الهدوء سائد ولا أثر لأيّ إنسان، وكانت الظروف ملائمة تماماً لتنفيذ ما عزم على تنفيذه.

وكانت السيدة بويل قد جلست في قاعة المكتبة وأدارت زرّ جهاز الراديو بحركة تنمّ عن السأم وضيق الصدر، وكانت قد فتحت الجهاز على منتصف حديث عن مغزى أغنيات الأطفال، وذلك آخر ما كانت تودّ الإنصات إليه فأخذت تبحث عن محطة أخرى، ثم سمعَت صوتاً مهذّباً صادراً من الجهاز يقول: "يجب أن نفهم سيكولوجية الخوف على حقيقتها، ولنفترض مثلاً أن المستمع كان جالساً بمفرده في إحدى الغرَف ثم فُتح باب الغرفة خلفه بهدوء..."، وعند ذلك الحدّ من الحديث فُتح باب غرفة المكتبة فاستدارت السيدة بويل بعنف ونظرت وراءها، ثم تنهّدَت بارتياح وهتفت قائلة: آه، أهذا أنت؟ ما هذه البرامج السخيفة التي يذيعونها في

الراديو؟ أنا لا أجد شيئاً يستحقّ الإصغاء إليه!

- لو كنت مكانكِ لما تكلّفت عناء الإصغاء يا سيدة بويل.

فقالت: وماذا أفعل غير ذلك وأنا حبيسة في مكان قد يتسلّل إليه القاتل في أية لحظة؟ أنا لا أقول ذلك لأنني صدّقت تلك القصّة السخيفة التي...

- ألم تصدّقيها حقاً يا سيدة بويل؟

- ماذا تعني؟ لماذا...

وإذا بحزام المعطف يُلَفّ حول عنقها بسرعة قبل أن تدرِك معنى ما يحدث لها، ثم امتدّت يد إلى زرّ الراديو فارتفع صوت المتحدّث عن سيكولوجية الخوف كي يطغى على كل صوت أو جلبة تصدر من السيدة بويل، ولكن لم تكن هناك أية جلبة؛ فقد كان القاتل يعرف عمله جيداً.

❋ ❋ ❋

الفصل الثاني عشر

وقفوا جميعاً في المطبخ ودلائل الفزع تعلو وجوههم في حين كانت رائحة الشواء تملأ المكان وتبدو أقوى من المعتاد. كانوا أربعة رجال قد تملّكهم الذعر وعقدت المفاجأة ألسنتهم، فراحوا يتبادلون نظرات الحيرة والجزع ولا يستطيعون الكلام، أمّا مولي فكانت شاحبة اللون زائغة البصر مرتجفة الأوصال لا تكاد تقوى على حمل قدح الشراب الذي ألحّ عليها المفتش تروتر أن تتناوله.

ووقف المفتش متجهّماً مغضباً يتفرّس وجوه الرجال الأربعة ويحاول أن يستخلص منها شيئاً، ولم يكن قد انقضى أكثر من خمس دقائق منذ سُمع صراخ مولي الذي أفزع الرجال وجعلهم يهرولون إلى قاعة المكتبة.

قال المفتش: لقد قُتلَت قبل لحظات من وصولك إليها يا سيدة دافيز، فهل أنت واثقة من أنك لم ترَي أحداً ولم تسمعي شيئاً في أثناء اجتيازك للبهو في طريقك إلى

قاعة المكتبة؟

فأجابت مولي بصوت خافت: سمعت صفيراً، ولكنني أعتقد أن ذلك كان قبل أن أخرج إلى البهو، وأظن (ولستُ متأكّدة تماماً) أنني عندما دخلت قاعة المكتبة سمعت صوت باب في ناحية ما يُغلق بهدوء.

- أيّ باب؟

- لا أعلم.

- فكّري يا سيدة دافيز وحاولي أن تتذكّري. هل كان الباب في الطابق الأوّل أم في الطابق الأرضي، وهل كان إلى اليسار أم إلى اليمين؟

فصاحت مولي: قلتُ لك لا أعلم... بل لستُ واثقة من أنني سمعت شيئاً على الإطلاق!

فقال غايلز بغضب محدّثاً المفتش: أمَا آن لك أن تكفّ عن مضايقتها؟ ألا ترى أنها في حالة انهيار تام؟

- أنا أقوم بالتحقيق في جريمة قتل يا سيد دافيز. أقصد يا كابتن دافيز.

- أنا لا أستخدم رتبتي العسكرية يا سيدي المفتش.

- على رِسْلك يا سيدي.

وصمت قليلاً ثم استطرد قائلاً: أنا أقوم بالتحقيق في جريمة قتل كما قلت لك، وحتى الآن لم يأخذ أحدٌ كلامي مأخذ الجدّ. وقد حجبَت السيدة بويل ما لديها من معلومات عنّي، بل أنتم جميعاً قد حجبتم عنِي ما لديكم من معلومات. وها هي السيدة بويل قد قُتلَت، فإذا لم نصل إلى الحقيقة وبسرعة فإن جريمة أخرى قد تقع.

- جريمة أخرى؟!

قال تروتر بصوت رصين: لأنه كانت هناك ثلاثة فئران صغيرة عمياء.

فقال غايلز بدهشة: أتعني جريمة لكل واحد من الفئران؟ ولكن ذلك يتطلّب وجود شخص آخر كانت له صلة بذلك الحادث!

- نعم، لا بدّ أن هناك شخصاً آخر كانت له صلة بالحادث.

- ولكن لماذا تظنّ أن جريمة ثانية ستُرتكَب هنا؟

- لأن الدفتر الصغير لم يكن به سوى عنوانان، أحدهما عنوان المنزل رقم ٧٤ بشارع كالفر، ولم يكن بهذا المنزل سوى ضحية واحدة محتمَلة وقد قُتلَت، والثاني عنوان قصر مانكسويل، والمجال في هذا القصر أفسح.

- هذا هراء يا تروتر؛ فليس من المعقول أن يجتمع هنا بطريق المصادفة شخصان لهما صلة بقضية مزرعة لونغريدج.

- لو وضعنا في الاعتبار ظروفاً معيّنة لوجدنا أن الأمر ليس مجرّد مصادفة. حاول أن تستخلص معنى هذا الكلام يا سيد دافيز.

ثم التفت إلى الآخرين وقال: لقد سمعتُ أقوالكم عن الأماكن التي كنتم فيها عندما قُتلت السيدة بويل، وسأستعرض الآن تلك الأقوال. سيد كريستوفر رين، هل قلتَ إنك كنت في غرفتك عندما سمعتَ صرخة السيدة دافيز؟

- نعم أيها المفتش.

- وأنت يا سيد دافيز، هل كنت تفحص وصلة الهاتف في غرفتك؟

- نعم.

- وقد قال السيد برافتشيني إنه كان يعزف على آلة البيانو في قاعة الاستقبال. هل سمعك أحد وأنت تعزف يا سيد برافتشيني؟

- الواقع أنني كنت أعزف بهدوء وبإصبع واحد.

- وأيّ أغنية عزفت؟

فابتسم برافتشيني وأجاب: أغنية «ثلاثة فئران عمياء»... نفس النغمة التي كان يصفرها السيد كريستوفر رين الذي يستحوذ على اهتمام الجميع هنا.

قالت مولي: هذه نغمة مقيتة!

وسأله متكليف: وماذا وجدت بشأن أسلاك الهاتف؟ هل قُطعت عمداً؟

فقال تروتر: نعم يا ميجور. لقد انتُزع جزء منها كان فوق نافذة قاعة الطعام، وقد اكتشفتُ ذلك في اللحظة التي صرخَت فيها السيدة دافيز.

قال كريستوفر رين بصوت ثاقب: ولكن هذا جنون! كيف يتصوّر أنه يستطيع الإفلات من القصاص؟!

فتفرّسه المفتش بعينيه ملياً ثم قال بتؤدة: لعله لا يحفل كثيراً بذلك أو لعله يتوهّم أنه أقوى منا وأكثر دهاء. المجرمون غالباً ما يتوهّمون ذلك، وتلك حقيقة تعلّمناها من دروس علم النفس التي تلقّيناها في أثناء إعدادنا للخدمة.

فقال غايلز: أرى أننا نطيل الحديث في غير طائل.

– صدقت، سيقتصر حديثنا بعد الآن على كلمتين لا ثالث لهما، القتل والخطر، وفي هاتين الكلمتين يجب أن نركّز كل تفكيرنا. والآن أريد أن أتحقق من تحرّكاتك

وتصرّفاتك يا ميجور متكليف. أنت تقول إنك كنت في القبو، فلماذا؟

فردّ الميجور قائلاً: ليس لسبب معيّن. فقط كنت أتجوّل في الفندق، ثم نظرت بداخل الخزانة الموجودة تحت الدرج، وحانت مني التفاتة فرأيت باباً صغيراً بجانب الخزانة فتقدّمت وفتحت الخزانة فرأيت درَجاً يتألّف من بضع درجات، وقادني ذلك الدرَج إلى قبو فسيح.

ثم التفت إلى غايلز واستطرد قائلاً: لديك قبو رائع يا غايلز. لقد خُيّل إليّ أنني في أحد الأديرة العتيقة.

فقال تروتر بخشونة: الأديرة والمباني القديمة ليست موضوع بحثنا الآن يا ميجور متكليف، نحن نحقّق في جريمة قتل ذهبت ضحيّتها إحدى نزيلات الفندق.

- هل لك أن تصغي قليلاً يا سيدة دافيز؟ سوف أترك باب المطبخ مفتوحاً.

قال ذلك وغادر المطبخ، وبعد قليل سمع القوم صوتَ باب يُغلق بصرير خافت، ثم عاد تروتر ووقف بباب المطبخ وهو يقول: هل هذا هو الصوت الذي سمعتِه يا سيدة دافيز؟

فردّت مولي بعد تردّد قصير: أظن أنه يشبهه.

- هذا صوت باب الخزانة القائمة تحت الدرَج، ومن المحتمل أن يكون القاتل قد اجتاز البهو بعد أن فتك بالسيدة بويل، وسمع وقع خطواتك حين غادرتِ المطبخ فأسرع إلى الخزانة واختبأ فيها. إذا صحّ هذا فلا بدّ أن يكون قد ترك بصماته داخل الخزانة.

فقال متكليف: بصماته موجودة بالخزانة فعلاً.

قال تروتر: هذا طبيعي، ونحن الآن نعرف أسباب وجودها هنا.

قال غايلز: أصغ إليّ أيها المفتش، لنفرض أنك مكلَّف فعلاً ببحث هذَه القضية، ولكن هذا الفندق فندقي وأنا المسؤول إلى حدٍّ ما عن نزلائه. أليس من الواجب أن نتخذ بعض الإجراءات الوقائية للمحافظة على سلامة النزلاء؟

- أيّ نوع من الإجراءات يا سيد دافيز؟

- سأكون صريحاً، في مقدورنا مثلاً أن نحجر على الشخص الذي تحيط به الشبهات أكثر من سواه.

قال ذلك ونظر إلى كريستوفر رين، فاندفع كريستوفر رين إلى الأمام وهو يصيح بصوت ثاقب مرتفع: ليس هذا صحيحاً، كلّكم تناصبونني العداء وتريدون أن تلصقوا بي تهمة أنا بريء منها. هذا هو الاضطهاد في أبشع صوره!

فقال متكليف بهدوء: رويدك يا بنيّ.

وتقدّمت مولي إلى الأمام وقالت وهي تربّت على كتف الشاب: طِبْ نفساً يا كريستوفر؛ فليس هنا من يضطهدك أو يناصبك العداء.

ثم التفتت إلى تروتر وقالت: قل له أن يطمئنّ.

فقال المفتش: نحن لا نضطهد أحداً ولا نلفّق التهم لأحد.

قالت مولي مرة أخرى: قل له إنك لا تنوي اعتقاله.

فقال تروتر: أنا لن أعتقل أحداً، فلا بدّ من دليل يبرّر الاعتقال وليس لدينا أدلّة في الوقت الحاضر.

صاح غايلز: هل جننتِ يا مولي؟! وأنت كذلك أيها المفتش؟ لا يوجد سوى شخص واحد تنطبق عليه أوصاف القاتل، وهذا الشخص...

فقاطعته مولي بهدوء: مهلاً يا غايلز، مهلاً.

ثم التفتت إلى تروتر واستطردت قائلة: هل أستطيع أن أتحدّث إليك لحظة أيها المفتش؟

فقلب غايلز شفته وقال: سأنتظر هنا.

قالت مولي: لا يا غايلز، تعالَ معنا، أرجوك.

فهتف غايلز وقد أظلم وجهه: في الحقيقة لا أدري ماذا دهاكِ يا مولي!

ثم تبع مولي والمفتش إلى الخارج وأغلق الباب وراءه بعنف، وهناك قال تروتر: ماذا تريدين يا سيدة دافيز؟

- أصغِ إليّ يا سيد تروتر، عندما حدّثتَنا عن قضية مزرعة لونغَريدج كان من الواضح أنك تعتقد أن أكبر الأشقاء الثلاثة هو المسؤول عن تلك الجرائم ولكنك لست على يقين من ذلك.

- هذا صحيح يا سيدة دافيز، ولكن جميع الاحتمالات تشير إليه، فهو مخبول وقد فرّ من الجيش، وتقرير الطبيب النفسي يؤكّد خبله.

فقالت مولي: أعلم ذلك، وأعلم أن جميع القرائن تشير إلى كريستوفر ولكنني لا أعتقد أنه القاتل. لا بدّ أن هناك احتمالات أخرى، ألم يكن للأطفال الثلاثة أقارب؟ ألم يكن لهم أبوان مثلاً؟

- بلى، كان لهم أبوان ولكن الأمّ توفّيت والأب كان مجنّداً في الخارج.

- وما قولك في الأب؟ أين هو الآن؟

- ليست لدينا أية معلومات، وكل ما نعرفه عنه أنه

ترك خدمة الجيش في العام الماضي.

- وإذا كان الابن مخبولاً، أفلا يُحتمل أن يكون الأب مصاباً بالخبل أيضاً؟

- هذا محتمل.

- إذن فمن الممكن أن يكون القاتل متوسّط العمر أو متقدّماً في السنّ، ولا يجب أن يغيب عن بالك أن الميجور متكليف اضطربَ أشدَّ الاضطراب حين قلتُ له إن الشرطة اتصلت بنا هاتفياً. أؤكّد لك أن اضطرابه كان واضحاً.

فقال تروتر بهدوء: صدّقيني يا سيدة دافيز، لقد وضعتُ كافّة الاحتمالات في اعتباري منذ البداية، ففكّرت في أكبر الأطفال واسمه جيم، كما فكّرت في الأب والأخت، فمن الممكن جدّاً أن يكون القاتل امرأة. خلاصة القول أنني لم أغفل شيئاً، وقد تكوّنت لديّ فكرة صحيحة ولكن ينقصها الدليل الذي يؤيّدها. الواقع أنه من العسير جداً أن يثق الإنسان بأيّ شيء أو بأيّ شخص خصوصاً في هذه الأيام. نحن الذين نعمل بالشرطة نرى عجباً كل يوم فيما يتّصل بالزواج بصفة خاصة، فالناس يتزوّجون على عجل ولا يكلّفون أنفسهم عناء البحث والاستقصاء عن العائلات والأقارب لأن كل طرَف من طرفَي الزواج يثق بكلمة الآخر. يقول الشاب مثلاً إنه طيّار أو ضابط في الجيش فتثق الفتاة بكلامه ثقة عمياء، وقد

يمضي عام أو عامان قبل أن تكتشف أنه جنديّ هارب أو صرّاف مختلس له زوجة وعدّة أولاد.

وتريّث برهة ثم قال: أنا أعرف ما يدور بخلدك يا سيدة دافيز، ولكن ثمة أمر أودّ أن تعلميه، وهو أن القاتل يستمتع الآن بما فعل. هذا هو الأمر الوحيد الذي لا يخامرني فيه أيّ شك.

قال ذلك وسار نحو الباب.

* * *

الفصل الثالث عشر

وقفت مولي جامدة في مكانها وقد صعد الدم إلى وجنتيها، وبعد دقيقة أو دقيقتين اقتربت من الموقد وجثت أمامه وفتحت باب الفرن فانبعثت منه رائحة الطعام الناضج، وشعرت مولي بكثير من الارتياح كما لو كانت تلك الرائحة قد ردّتها إلى الحياة العادية، حياة ربّة البيت التي تطهو الطعام وترتّب الثياب وتنظّم البيت ولا شأن لها بالكابوس الذي يجثم على صدور نزلاء الفندق، وشعرَت للحظات أنها في بيتها الهادئ تطهو لزوجها كما اعتادت النساء أن يطهين لأزواجهن منذ قديم الأزل.

وفُتح باب المطبخ فنظرت خلفها فرأت كريستوفر رين مقبلاً نحوها، وكان شاحب الوجه لاهث الأنفاس ثم قال: هل علمتِ بما حدث يا عزيزتي؟ لقد سرق بعضهم أدوات الانزلاق الخاصّة بالمفتش تروتر.

فدُهشت مولي وهتفت قائلة: هذا غير معقول!

ثم استطردت قائلة: الذي سرق أدوات الانزلاق لا بدّ أن يكون شخصاً آخر غير القاتل لأن القاتل يسعده أن يرحل المفتش عنا، ولكن المفتش لا يستطيع ذلك الآن بعد أن سُرقت أدواته. الواقع أنني لا أفهم شيئاً!

- لقد وضعها غايلز بنفسه في الخزانة تحت الدرَج ولكنه لم يجدها.

- شيء محيّر، أليس كذلك؟!

فضحك كريستوفر وقال: المفتش يكاد ينفجر غيظاً، وهو يتّهم الميجور متكليف والميجور المسكين يصرّ على أنه لم يرَها حين فتح الخزانة قُبيل مقتل السيدة بويل.

ثم انحنى إلى الأمام وقال بصوت خافت: هل تريدين رأيي؟ يخيّل إليّ أن هذه الأحداث قد بدأت تهزّ المفتش وتحطّم أعصابه.

فقالت مولي: لقد حطّمَت أعصابنا جميعاً.

- أمّا أنا فلا، لن تحطمني بل أنا أجد فيها إثارة ومتعة لا حدّ لها. كل شيء يبدو غير طبيعي إلى حدٍّ يثير الضحك.

فقالت مولي بحدّة: من السهل أن تقول ذلك لأنك لم تكن أوّل من رأى جثة السيدة بويل. لن تبرح

صورتها ذهني ما حييت ولن أنسى منظر وجهها المتورّم المحتقن.

ومرّت بجسدها رعدةٌ شديدة، فقال كريستوفر: أنا آسف. الواقع أنني لم أفكّر في ذلك.

فقالت مولي وهي تغالب غُصّة في حلقها: منذ لحظة كان كل شيء يبدو على ما يُرام، الطهي والمطبخ والبيت... ثم فجأة عادت الذكريات كالكابوس.

فرمقها كريستوفر بإشفاق وقال بهدوء: يؤسفني أنني نكأت جُرحاً دامياً. أُكرّر اعتذاري، ولعل من الأوفق الآن أن أنسحب حتى لا أكون مصدر ضيق لك.

ولكنه ما كاد يضع يده على مقبض الباب حتى صاحت مولي: لا، لا تذهب.

فدار على عقبيه ونظر إليها متسائلاً، ثم عاد أدراجه ببطء وقال بصوت خافت: أتعنين ذلك حقاً؟

- أعني ماذا؟

- ألاّ تريدينني أن أذهب؟

- لا، لا أريد أن أبقى وحدي؛ فالوحدة تخيفني.

فجلس كريستوفر بجوار المائدة، وجثت مولي أمام الفرن ورفعَت بعض الفطائر إلى رفّ أعلى بداخله،

ثم أغلقت باب الفرن وعادت إلى كريستوفر الذي قال: هذا عجيب حقاً.

- ماذا؟

- من العجيب أنكِ لست خائفة من البقاء معي. أنت لست خائفة، أليس كذلك؟

فهزت رأسها وأجابت: أنا بالفعل لست خائفة.

- رغم أنني الشخص الوحيد الذي تنطبق عليه أوصاف القاتل.

- هناك احتمالات أخرى ذكرتُها للمفتش تروتر.

- وهل وافق على وجهة نظرك؟

فأجابت مولي ببطء: لم يستبعدها.

ثم تذكّرت وهي تقول ذلك بعض عبارات تفوّه بها تروتر، وظلّت تلحّ عليها طوال الوقت وخصوصاً قوله: "أنا أعرف جيّداً ما يدور بخلدك يا سيدة دافيز". تُرى هل كان يعرف حقاً؟ هل كان في استطاعته أن يعرف؟ كذلك قال: "القاتل يستمتع الآن بما فعل"، فهل هذا صحيح؟

ثم قالت لكريستوفر: هل تجد حقاً متعة فيما حدث رغم ما قلته الآن؟

فصاح: يا إلهي! كيف تقولين كلاماً كهذا؟

- أنا لم أقُله بل قاله المفتش تروتر. كم أكره ذلك الرجل! إنه يضع في رأسه أشياء لا حقيقة لها ولا يمكن أن يكون لها ظل من الحقيقة.

ثم دفنت وجهها بن كفيها، فنهض كريستوفر واقترب منها وقال: ماذا حدث يا مولي؟ تكلّمي.

وسمحت له بأن يُجلسها على مقعد بجوار مائدة المطبخ، ولم يكن في تلك اللحظة كعهدها به شاباً عصبياً ساخراً. لقد اختفى كل ذلك فجأة ثم قال مرة أخرى: ماذا حدث يا مولي؟

فرمقته بنظرة طويلة كمن يريد تقييم محدّثه ثم سألته: منذ متى وأنا أعرفك يا كريستوفر؟ منذ يومين.

- أجل، وتظنين رغم قصر المدّة أن كلاً منا يعرف الآخر منذ وقت طويل، أليس كذلك؟

- بلى، أنا فعلاً أظنّ ذلك، أليس ذلك غريباً؟!

- لا أدري، ولكن يوجد بيننا نوع من التعاطف، ربما لأن كلاً منا قد عرف في حياته معنى الشقاء.

فقالت له بهدوء كمن يقرّر حقيقة لا كمن يلقي سؤالاً: كريستوفر رين ليس اسمك الحقيقي.

- أجل.

- لماذا عمدت إلى...؟

- إلى تغيير اسمي؟ لمجرّد الرغبة في العبث. لقد كانوا يدعونني في المدرسة كريستوفر رين فانتحلت اسم كريستوفر رين... توارُد أسماء فحسب.

- وما اسمك الحقيقي؟

فأجاب بهدوء: لا جدوى من الخوض في هذا الموضوع؛ فلن يدلّك اسمي الحقيقي على شيء ولن يعني شيئاً بالنسبة إليك. بحسبك أن تعلمي أنني لست مهندساً، فالواقع أنني هارب من الجيش.

وللحظة يسيرة تألّقت في عينَي مولي نظرة تنمّ عن الرعب، ورأى كريستوفر تلك النظرة فقال: أجل، تماماً مثل القاتل المجهول. ألم أقُل لك إنني الشخص الوحيد الذي تنطبق عليه أوصاف القاتل؟

فقالت مولي: لا تكن مغفّلاً. لقد قلت لك إنني لم أتصوّر لحظة واحدة أنك القاتل. تكلّم، حدّثني عن نفسك... لماذا هربت من الجيش؟ بسبب الأعصاب؟

- أتعنين بسبب الخوف؟ لا. من العجيب أنني لم أخَف أكثر من الآخرين، بل لقد عُرفتُ في جميع المعارك التي خضتها بالثبات ورباطة الجأش. لا، لقد هربت من الجيش لسبب آخر مختلف، هربت بسبب أمّي.

- أمّك؟!

- نعم، لقد قُتلت في إحدى الغارات الجوية ودُفنت تحت الأنقاض، وظلّت تحت الأنقاض عدّة أيام حتى أخرجوها جثة هامدة، ولا أدري ماذا دهاني عندما علمت بالنبأ. أعتقد أنني أُصبت بمسّ من الجنون، وقد خُيّل إليّ أنني أنا الذي دُفنتُ تحت الأنقاض لا هي، ثم شعرت برغبة ملحّة في أن أعود إلى البيت بأسرع ما أستطيع كي أزيل الأنقاض وأخرج نفسي من تحتها. ليس في استطاعتي أن أوضّح لك الأمر تماماً؛ فقد كنت مذهولاً والأمور مختلطة في ذهني.

ونكس رأسه ودفن وجهه بين كفيه ثم قال بصوت مختنق: همتُ على وجهي طويلاً، وبحثت عنها أو عن نفسي، لَا أدري أيهما! وعندما هدأت ثائرتي وعاد إليّ صفاء ذهني خشيتُ من العودة إلى الجيش؛ فقد كنت أعلم أنني لن أستطيع إيضاح مشاعري أو تبرير غيابي. ومنذ ذلك الوقت وأنا أشعر بأنني لا شيء.

ثم كفّ عن الكلام ورفع إليها وجهاً قد زاغت عيناه وغار صدغاه، ورأت مولي أمامها تمثالاً حيّاً لليأس والقنوط فقالت له: يجب أن تقاوم هذا الشعور؛ فما زال في استطاعتك أن تبدأ من جديد.

- هل يمكن ذلك؟

- بالطبع؛ فأنت في ريعان الشباب.

- ولكنني وصلت إلى النهاية.

- لا، أنت لم تصل إلى النهاية ولكنك تظنّ أنك وصلت إليها، وأعتقد أن كل إنسان قد شعر بمثل ذلك مرة على الأقلّ في حياته، فخُيّل إليه أنه وصل إلى النهاية ولن يستطيع الاستمرار.

- هل عانيتِ هذا الشعور يا مولي؟ لا بدّ أنك عانيته وإلاّ ما استطعت أن تتحدّثي عنه على هذا النحو.

- نعم.

- ماذا أصابك؟

- أصابني ما أصاب الكثيرين. كنت مخطوبة لطيار شابّ وقُتل في الحرب.

- هل كان هناك شيء آخر؟

- نعم، أُصبت بصدمة عنيفة وأنا صغيرة وواجهت القسوة والوحشية بكل معانيهما حتى خُيّل إليّ أن الحياة كلّها شرور وأهوال، ثم جاء مصرع خطيبي فضاعف من إحساسي بقسوة الحياة.

فسأل كريستوفر وهو لا يحوّل عينيه عنها: ثم جاء غايلز بعد ذلك؟

- أجل.

وهنا رأى كريستوفر ابتسامة رقيقة تضطرب على شفتيها، ومضت مولي في حديثها فقالت: جاء غايلز،

وجاء معه الإحساس بالأمان والسعادة.

ولكن الابتسامة ما لبثت أن تلاشت عن شفتيها وتجهّم وجهها ومرّت بخدّها رعدة، فهتف الشاب قائلاً: ماذا بكِ يا مولي؟ ماذا يخيفك؟ أنت خائفة، أليس كذلك؟

فأطرقت برأسها فقال: هل لخوفك صلة بغايلز؟ بشيء قاله أو فعله؟

- في الواقع ليس غايلز بل الرجل المخيف الآخر.

فدهش كريستوفر وقال: أيّ رجل؟! برافتشيني؟

- لا، المفتش تروتر.

- المفتش تروتر؟!

- إنه يشير إلى أشياء ويلمّح إلى أشياء ويوحي إليّ بأفكار مخيفة عن غايلز، أفكار لم تمرّ بذهني ولم تخطر ببالي. أنا أمقته، أمقته!

فرفع كريستوفر حاجبيه تعبيراً عن دهشته وقال: غايلز؟ غايلز؟! أجل، أنا وهو في سنّ واحدة تقريباً، وكان يخيل إليّ أنه أسنّ مني ولكن يبدو أنني كنت مخطئاً. نعم، أوصاف القاتل تنطبق على غايلز أيضاً. ولكن أصغي إليّ يا مولي، كل هذا كلام فارغ؛ فغايلز

كان معكِ هنا يوم أن قُتِلت المرأة في لندن.

فصمتت مولي ولم تُجِب، ونظر إليها كريستوفر بحدّة وسأل: ألم يكن هنا؟

فقالت مولي وهي تلهث والكلمات تختلط في فمها: لم يكن هنا؛ فقد خرج بسيارته وغاب طوال النهار، ثم قال إنه ذهب إلى إحدى المدن البعيدة لشراء نوع من الأسلاك كانت تُباع هناك. ذلك ما قاله وذلك ما اعتقدته إلى أن...

- إلى أن ماذا؟

فمدّت مولي يدها ببطء إلى جريدة الإيفننغ ستاندارد التي كانت على المائدة وأشارت إلى تاريخها فقرأ كريستوفر: «طبعة لندن» بتاريخ أمس الأوّل.

قالت مولي: كانت هذه الجريدة في جيب غايلز عندما عاد، وهي تدلّ على أنه ذهب إلى لندن.

فحملق كريستوفر إلى وجهها ثم حملق في الجريدة وبدأ يصفر بشفتيه، ولكنه أمسك على الفور؛ فلم يكن الوقت مناسباً لترديد ذلك النغم، ثم قال وهو يتجنب النظر في عينيها ويتخير الألفاظ بعناية: ماذا تعلمين تماماً عن غايلز؟

فصاحت مولي: صه، ذلك هو ما قاله أو ما لمّح إليه ذلك الوحش تروتر حين قال إن النساء في الغالب لا

يعرفن شيئاً عن الرجال الذين يقترنون بهن وخصوصاً في زمن الحرب، وإنهن يصدّقن كل ما يقوله الرجال عن أنفسهم.

- أعتقد أن ذلك صحيح.

- لا تقُل هذا الكلام أنت أيضاً لأنني لا أطيق سماعه. إن توتّر أعصابنا يجعلنا نصدّق كل ما يقال مهما بلغ من الغرابة والشذوذ، وليس صحيحاً على الإطلاق ما...

ولم تتمّ عبارتها؛ فقد فُتح باب المطبخ في تلك اللحظة ودخل غايلز وكان عابس الوجه مقطب الجبين، وقال وهو ينقل بصره بين مولي وكريستوفر: هل قطعتُ حديثكما؟

فابتسم كريستوفر وأجاب: كنتُ أتلقّى درساً في طهي الطعام.

- حقاً؟ أصغ إليّ يا رين، المحادثات الثنائية غير مرغوب فيها في هَذه الظروف ويحسن بك أن تبتعد عن المطبخ. هل سمعت؟

- ولكن...

- وابتعد كذلك عن زوجتي يا رين لأنها لن تكون الضحية التالية.

فقال كريستوفر: الواقع أن سلامتها هي محور اهتمامي.

ويبدو أن غايلز لم يدرك معنى تلك العبارة لأنه تقدّم خطوة أخرى إلى الأمام وصاح وقد اربدّ وجهه: دع لي هذا الاهتمام؛ فهي زوجتي وأنا أعرف كيف يجب أن أسهر على سلامتها. والآن اغرب عن وجهي!

فقالت مولي بهدوء: أرجو أن تذهب يا كريستوفر.

فمشى كريستوفر إلى الباب ببطء وقال موجّهاً الكلام إلى مولي: لن أذهب بعيداً.

وكان لعبارته معناها الواضح فصاح غايلز: اخرج من هنا!

فضحك كريستوفر ضحكة صبيانية عالية وقال: هدّئ من روعك يا كابتن.

ثم خرج وأغلق الباب وراءه، وتحوّل غايلز إلى زوجته وصاح: ماذا دهاكِ يا مولي؟ هل فقدت صوابك؟ كيف تنفردين مع مجرم معتوه في مكان مغلق؟!

- إنه ليس...

وأبدلت عبارتها بسرعة وقالت: إنه ليس مجرماً ولا معتوهاً، وعلى كل حال أنا أعرف كيف أحرص على سلامتي.

فضحك غايلز ضحكة مقيتة وقال: هذا أيضاً ما كانت تتوهّمه السيدة بويل.

فصاحت مولي: أرجوك لا تذكّرني بها.

- آسف يا حبيبتي. هذا الصبي التعس قد أثارني، ولست أدري في الحقيقة ماذا يعجبك فيه!

فقالت مولي ببطء: أنا أعطف عليه.

- أتعطفين على قاتل معتوه؟!

فرمقته مولي بنظرة عجيبة وأجابت: نعم، في استطاعتي أن أعطف على قاتل معتوه.

- وتدْعينه كذلك باسمه، كريستوفر مجرّداً! منذ متى زالت الكلفة بينكما؟

- لا تكن مضحكاً يا غايلز. كل الناس يتنادون بالأسماء مجرّدةً في هذه الأيام وأنت تعلم ذلك.

- أتزول الكلفة بعد يومين اثنين؟ أم لعلك كنتِ تعرفينه من قبل! لا شكّ أنك عرفت السيد كريستوفر رين المهندس الزائف قبل أن يأتي إلى هذا الفندق، بل وربما دبّرتما الأمر بينكما واتفقتما على اللقاء هنا.

فنظرت إليه مولي بدهشة بالغة وصاحت: هل جننت يا غايلز؟ ماذا تعني بالله عليك؟!

- أعني أن كريستوفر رين صديق قديم لكِ وأن بينكما صلة وثيقة لا تريدينني أن أعرفها.

- لا بدّ أنك جننت يا غايلز!

- أكبر الظن أنكِ ستزعمين بإصرار أن بصرك لم يقع عليه قبل أن يأتي إلى هذا الفندق، أليس عجيباً أن يقيم شاب مثله في فندق منعزل بعيد عن العمران كهذا الفندق؟

- وهل ذلك أعجب من إقامة الميجور متكليف والسيدة بويل؟

- أظن ذلك؛ فقد قرأت أكثر من مرة أن لهؤلاء المجانين القتلة جاذبية خاصة تستهوي النساء، ويبدو أن ذلك صحيح. حدّثيني، كيف عرفتِ ذلك الشاب ومنذ متى توثّقَت الصلة بينكما؟

- أنت لا تطاق يا غايلز! أؤكّد لك أنني لم أرَ كريستوفر رين قبل أن يحضر إلى هذا الفندق!

- ألم تذهبي إلى لندن منذ يومين لمقابلته والاتفاق معه على التظاهر هنا بأن كلاً منكما لا يعرف الآخر؟

- أنت تعرف أنني لم أذهب إلى لندن منذ عدّة أسابيع.

- لم تذهبي إلى لندن منذ عدة أسابيع! هذا رائع.

قال ذلك وأخرج من جيبه قفازاً قدّمه إليها وهو يقول: أليس هذا هو القفاز الذي كان في يدك أمس الأوّل يوم أن ذهبتُ أنا إلى سيلهام لشراء الأسلاك؟

فأجابت مولي وهي تنظر إليه بثبات: بلى، هذا قفازي، وقد استعملته يوم أن ذهبتَ أنت إلى سيلهام لشراء الأسلاك.

- قلتِ لي يومئذ إنك ذهبتِ إلى القرية فقط كما زعمت، فما معنى وجود هذه في القفاز؟

ثم أخرج من القفاز تذكرة الحافلة الحمراء ورمق زوجته بنظرة اتهام. وساد الصمت لحظة ثم قال غايلز: لقد ذهبتِ إلى لندن.

فرفعَت مولي رأسها بتحدٍّ وقالت: أجل، لقد ذهبتُ إلى لندن.

- لمقابلة ذلك المدعو كريستوفر رين؟

- لا، لم أذهب إلى هناك لمقابلة كريستوفر.

- ولماذا ذهبتِ إذن؟

- لن أذكر لك السبب الآن يا غايلز.

- معنى ذلك أنكِ تريدين فسحة من الوقت لانتحال عذر مقبول.

فقالت مولي: أنت مقيت وأنا أكرهك!

فأجاب ببطء: أنا لا أكرهك، ولكني أتمنى في هذه اللحظة أن يمتلئ قلبي كراهية لك. أنا أشعر كأنني لا أعرفك.

فأجابت: وذلك هو نفس شعوري. أنت بالنسبة إليّ مجرد رجل غريب لا يزال يكذب عليّ.

- هل كذبت عليك يوماً؟

فضحكت مولي وأجابت: هل تظنّ أنني صدّقتُ قصّتك عن شراء الأسلاك؟ أنتَ أيضاً كنت في لندن في ذلك اليوم.

فقال: لا شك أنكِ أبصرت بي هناك، ولم يكن لك من الثقة بي ما...

- الثقة بك؟ أنا لن أثق بأحد بعد الآن.

ولم يشعر الزوجان وهما في ذروة الانفعال بباب المطبخ حين فُتح بهدوء، وسعل برافتشيني كي يعلن عن وجوده وغمغم قائلاً: ما أشدّ ارتباك الإنسان حين يجد نفسه بين عاشقَين يتشاجران!

فقال غايلز ساخراً: عاشقان حقاً!

- أنا أعرف شعورك يا بنيّ. لقد عرفته حين كنت

شاباً في مثل سنّك. ولكنني ما لهذا جئت، إنما جئت لأقول لكما إن المفتش يصرّ على أن نذهب جميعاً إلى قاعة الاستقبال.

وصمت برافتشيني قليلاً ثم استطرد قائلاً: يبدو أن لديه فكرة ما. لقد تعوّدنا أن نسمع أن الشرطة لديها دليل، أمّا أن يكون لدى الشرطة فكرة فذلك هو الجديد الذي استحدثه صديقنا المفتش تروتر. يخيل إليّ أنه رجل مفرط النشاط ولكنني لا أظنّ أنه مفرط الذكاء.

فقالت مولي: اذهب أنت يا غايلز، أمّا أنا فيجب أن أشرف على طهي الطعام، وأظن أن المفتش تروتر يستطيع العمل دوني.

فقال برافتشيني وهو يقترب من مولي بخفة: بمناسبة الحديث عن طهي الطعام، هل جرّبتِ مرة وضع كبد الدجاج على قطعة من الخبز المقدّد وعليه بعض الخردل؟

قال غايلز: نحن لا نرى الخردل الفرنسي في هذه الأيام. هلمّ بنا يا سيد برافتشيني.

قال برافتشيني: هل أبقى معكِ لأساعدك يا سيدتي؟

فأجاب غايلز: لا يا سيد برافتشيني، أنت ستأتي معي إلى قاعة الاستقبال.

فضحك برافتشيني قائلاً: أرأيت يا سيدة دافير؟ زوجك يخشى عليك مني ولا يطيق فكرة بقائي معك وحدنا. مما يؤسف له أنه يخشاني كقاتل لا كعاشق. لا بأس، ها أنا ذا أرضخ للقوة وأخرج مُرغماً.

قال ذلك وحنى قامته باحترام شديد فابتسمت مولي، وقال برافتشيني يحدّث غايلز: أنت عاقل جداً أيها الشاب، فحذارِ من المغامرة ولا تترك شيئاً للظروف. هل في استطاعتي مثلاً أن أثبت لك أو للمفتش أنني لست قاتلاً معتوهاً؟ لا، ليس ذلك في استطاعتي لأن من أصعب الأمور إثبات السلبيات.

قال ذلك وراح يتمتم بأغنية الفئران، ففزعت مولي وقالت: أرجوك يا سيد برافتشيني، لا أريد سماع هذه الأغنية المزعجة!

– أنا آسف، لقد نُقشَت هذه الأغنية في ذهني دون أن أشعر. الواقع أنها أغنية مخيفة ولكن الأطفال يحبّون الأشياء المخيفة. هل لاحظتِ ذلك؟ انظري ما تقول الأغنية: «وقطعت المرأة ذيول الفئران بسكين حادّة». الأطفال يحبّون القسوة، وفي استطاعتي أن أروي لك عن...

فقاطعته مولي: اسكت بربك يا سيد برافتشيني، يخيّل إليّ أنك أيضاً تحبّ القسوة. أنت أشبه بقطّ يلاعب فأراً!

ثم ضحكت ضحكة عصبية، وقال غايلز: هلمّي معنا يا مولي لنذهب جميعاً إلى قاعة الاستقبال قبل أن يفرغ صبر تروتر. دعي الطهي الآن فالجريمة أهمّ من الطعام.

وقال برافتشيني وهو يسير خلفهما بخطواته المتوثّبة: أنا لا أوافقكَ على هذا الرأي؛ فالمحكوم عليه بالإعدام يأكل بنهم شديد قبل إعدامه. هذا ما يقولونه دائماً.

* * *

الفصل الرابع عشر

لحق بهم كريستوفر رين في البهو فقابله غايلز بالعبوس وأشاح عنه بوجهه، ورمق كريستوفر مولي بنظرة سريعة أودعها كل ما يعتمل في نفسه من قلق ولكنها مضت في طريقها منتصبة القامة مرفوعة الرأس لا تنظر يمنة ولا يسرة، وساروا جميعاً بعضهم وراء بعض فيما يشبه الموكب حتى وصلوا إلى قاعة الاستقبال حيث وجدوا تروتر ومتكليف في انتظارهم.

كان متكليف عابساً متجهّم الوجه على نقيض تروتر الذي كانت تبدو على محيّاه دلائل الارتياح والرضا. وقال المفتش وهو يجيل البصر بينهم: لقد جمعتكم هنا الآن كي أقوم بتجربة معيّنة أرجو أن تتعاونوا معي لإنجاحها.

فسألته مولي: هل ستستغرق هذه التجربة وقتاً طويلاً؟ لديّ عمل في المطبخ لا بدّ أن أنجزه حتى نجد ما نأكله.

- أنا أضع ذلك في الاعتبار يا سيدة دافيز، ولكنني أرى أن هناك ما هو أهمّ من الطعام، فالسيدة بويل مثلاً لم تعُدْ بحاجة إلى طعام!

فقال متكليف: هذه الملاحظة تجافي الذوق أيها المفتش.

- أنا آسف يا ميجور متكليف، ولكنني أريد من الجميع أن يتعاونوا معي في هذه التجربة.

فسألته مولي: هل وجدتَ أدوات الانزلاق يا سيد تروتر؟

فاحمرّ وجه المفتش وقال: لا، لم أجدها يا سيدة دافيز، ولكنني أستطيع أن أقول لك إن لديّ فكرة عمّن أخذها، ولن أوضّح أكثر من ذلك في الوقت الحاضر.

فقال برافتشيني متوسّلاً: أرجوك ألاّ توضح أيها المفتش؛ فأنا أعتقد أن الإيضاحات يجب أن تبقى طيّ الكتمان حتى النهاية، حتى الفصل الأخير. هذه هي أصول القصّة.

- هذه ليست لعبة يا سيدي.

- أتظنّ ذلك؟ أعتقد أنك مخطئ؛ فهذه بالنسبة لبعض الناس مجرّد لعبة.

غمغمت مولي قائلة: القاتل يستمتع الآن بما فعل.

فنظر الجميع إليها فاحمرّ وجهها وقالت: هذه عبارة قالها لي المفتش تروتر.

فبدا الاستياء على تروتر ولكنه قال: السيد برافتشيني يتكلّم عن الفصول الأخيرة والنهايات المثيرة كما لو كنا بصدد قصّة بوليسية، ولكننا نعيش الآن قصّة واقعية لا مجال فيها للخيالات والأوهام، قصّة تقع أحداثها أمام أبصارنا جميعاً.

قال كريستوفر وهو يضع يده على عنقه: لتكن الأحداث ما تكون، بشرط أن تقع بعيداً عني.

فقال متكليف: كفى هذراً أيها الشاب، المفتش يحدّثنا الآن عما يريدنا أن نفعله.

فسعل تروتر وقال بصوت واضح رصين: منذ نحو ساعة حصلتُ منكم على إقرارات عن مواقعكم في الوقت الذي قُتلت فيه السيدة بويل، ومن تلك الإقرارات يتبيّن أن السيد رين والسيد دافيز كان كل منهما في غرفة نومه، والسيدة دافيز كانت في المطبخ، والميجور متكليف كان في القبو، والسيد برافتشيني كان في هذه الغرفة.

قال ذلك وتريّث لحظة ليلتقط أنفاسه ثم استطرد قائلاً: هذه هي الإقرارات التي أدليتم بها، وليست لديّ وسيلة للتحقّق منها، وهي قد تكون صحيحة وقد لا تكون. وبوضوح أكثر أقول إن أربعة من هذه الإقرارات

صحيحة والخامس كاذب، فأيها الكاذب؟

ثم راح ينقل البصر بينهم واحداً بعد واحد، ولكنهم لاذوا بالصمت جميعاً، ثم قال: أربعة منكم قالوا الصدق وواحد كذب، ولديّ خطة قد تساعدني على أن أكتشف الكاذب، وإذا اكتشفت الكاذب فقد عرفت القاتل.

فقال غايلز بحدّة: ليس من الضروري أن يكون الكاذب هو القاتل؛ فمن المحتمل أن يكون هناك كذب لأسباب أخرى.

- أنا أشكّ في ذلك يا سيد دافيز.

- ولكن ما الفكرة أيها المفتش؟ لقد قلت الآن إنه لا توجد لديك وسيلة للتحقق من صدق هذه الإقرارات.

- هذا صحيح، ولكن هَبْ أن كل واحد قام مرة أخرى بتمثيل تحرّكاته وقت ارتكاب الجريمة.

فقلب متكليف شفته وقال: هل تهدف إلى إعادة تمثيل الجريمة؟ هذه فكرة أجنبية.

- أنا لا أهدف إلى إعادة تمثيل الجريمة أيها الميجور بل أهدف إلى إعادة تمثيل تحرّكات أشخاص أبرياء.

- وماذا تتوقّع معرفته من وراء ذلك؟

- معذرة إذا امتنعت عن الإجابة على هذا السؤال في الوقت الحاضر.

قالت مولي: هل تريدنا أن نعيد تمثيل مواقفنا؟

- شيء بهذا المعنى يا سيدتي.

فساد الصمت ولكنه كان صمتاً مفعماً بالقلق، ثم قالت مولي لنفسها: هذا فخّ، من المحقق أن هناك فخاً، ولكنني لا أدري كيف سيتبادر إلى ذهن الناظر إليهم أن في الغرفة خمسة مجرمين لا مجرماً واحداً وأربعة أبرياء.

ثم راحوا ينظرون بقلق إلى المفتش الشابّ الذي أخذ يستعرض وجوههم وعلى شفتيه ابتسامة فوز، وفجأة صاح كريستوفر بصوته الثاقب: ولكنني لا أدري كيف يمكنك معرفة الكاذب أو القاتل من مجرّد قيامنا بنفس الحركات التي قمنا بها من قبل! الأمر كلّه يبدو سخيفاً وغير منطقي.

- أتظنّ ذلك يا سيدي رين؟

قال غايلز ببطء: سيكون لك ما تريد أيها المفتش وسنتعاون معك إلى النهاية. هل تريدنا أن نفعل تماماً ما فعلناه من قبل؟

ثم مضى تروتر في حديثه قائلاً: قال لنا السيد برافتشيني إنه كان جالساً أمام آلة البيانو وكان يعزف أغنية معيّنة، فهلاّ تفضلتَ يا سيد برافتشيني بأن ترينا ماذا كنتَ تفعل تماماً؟

- سمعاً وطاعة يا عزيزي المفتش.

قال ذلك وسار في الغرفة بخفّة حتى وصل إلى آلة البيانو فجلس أمامها وقال كمن يتحدّث من فوق خشبة المسرح إلى جمهور عريض: سيعزف المايسترو الآن أغنية القاتل المفضّلة!

وابتسم ثم راح يعزف بإصبع واحدة مطلع أغنية «ثلاثة فئران عمياء»، ولم تتمالك مولي من أن تقول لنفسها: إنه يستمتع بما يفعل!

وطافت أنغام الأغنية المخيفة بأرجاء الغرفة وكأنها تنبعث من عالم آخر، وحبس القوم أنفاسهم وران عليهم صمت رهيب. وأخيراً قال تروتر: شكراً لك يا سيد برافتشيني. هل هكذا عزفتَ الأغنية في المرة السابقة؟

- نعم أيها المفتش، لقد كرّرتُ مطلعها ثلاث مرات.

فتحوّل تروتر إلى مولي وسألها: هل تجيدين العزف على آلة البيانو يا سيدة دافيز؟

- نعم أيها المفتش.

- هل يمكنك أن تعزفي هذه الأغنية بنفس طريقة السيد برافتشيني؟

- نعم.

- إذن أرجو أن تجلسي أمام آلة البيانو وأن تكوني

على أُهبة الاستعداد حتى أصدر إليك إشارة البدء.

فظهرَت دلائل الدهشة على وجه مولي، ولكنها اجتازت الغرفة ببطء واقتربت من آلة البيانو، فقال برافتشيني بلهجة الاحتجاج وهو يخلي لها مكانه أمام آلة البيانو: ولكنني فهمت أيها المفتش أن كلاً منا سيؤدّي نفس الدور ونفس العمل الذي كان يقوم به، وقد كنت أعزف على آلة البيانو وقت الجريمة.

فقال المفتش: سيتمّ أداء نفس الأعمال، ولكن ليس من الضروري أن يؤدّيها نفس الأشخاص.

فقال غايلز: أنا لا أفهم الغرض من ذلك!

– الغرض الذي أهدف إليه يا سيد دافيز هو التحقّق من صدق الإقرارات. والآن سأحدّد لكل منكم دوره ومكانه، ستجلس السيدة دافيز أمام آلة البيانو، وأنت يا سيد رين اذهب إلى المطبخ، وحبّذا لو قمتَ بملاحظة الطعام الذي تطهوه السيدة دافيز، وأنت يا سيد برافتشيني اذهب إلى غرفة نوم السيد رين، وبوسعك هناك أن تستخدم مواهبك الموسيقية بأن تصفر بشفتيك مطلع أغنية «ثلاثة فئران عمياء» تماماً كما كان يفعل السيد رين وقت ارتكاب الجريمة. وأنت يا ميجور متكليف، هلا تفضّلت بالذهاب إلى غرفة نوم السيد دافيز وفحص أسلاك الهاتف هناك؟ وأنت يا سيد دافيز أرجو أن تنظر داخل الخزانة ثم تهبط الدرَج إلى القبو.

فساد الصمت لحظة ثم نظر إلى مولي من فوق كتفه وقال: أرجو أن تبدئي العدّ من رقم ١ فإذا بلغتِ رقم ٥٠ فاشرعي فوراً في عزف المقطوعة.

ثم خرج في إثر الآخرين، وقبل أن يغلق الباب سمعَت مولي صوت برافتشيني وهو يقول: لم أكن أعلم أن بين رجال الشرطة هواة للألعاب المنزلية!

* * *

الفصل الخامس عشر

مضت مولي في ترديد الأعداد قائلة: سبعة وأربعون، ثمانية وأربعون، تسعة وأربعون، خمسون. ثم بدأت العزف، ومرة أخرى تردّدت في أرجاء الغرفة أصداء الأغنية الصغيرة المؤلمة: «ثلاثة فئران صغيرة، انظر إليها كيف تجري».

وشعرت مولي بنبضات قلبها تزداد سرعة وتمعن في الإسراع، ولم يسَعها إلا الاعتراف بأن برافتشيني كان على حقّ حين قال لها إنها أغنية صغيرة قاسية. ربما كان الهدف منها إثارة الشفقة في قلوب الصغار، ولكن من المؤكّد أنها لا تثير في الكبار إلا الإحساس بالحزن والرهبة والخوف من المجهول.

ثم وصل إلى سمعها في ذات الوقت صفير خافت للأغنية ذاتها هو صفير برافتشيني الذي أُنيط به القيام بدور كريستوفر رين. وفجأة ارتفع صوت الراديو في الغرفة المجاورة فقالت في نفسها: لا بدّ أن يكون المفتش تروتر

قد أدار الجهاز، ومعنى هذا أنه يقوم بدور السيدة بويل، ولكن لماذا؟ وما الغرض من كل هذا وأين الفخّ؟

ذلك لأنها كانت على يقين من أن هناك فخّاً، ثم شعرت بنسمة هواء باردة تلفح عنقها فنظرت وراءها بسرعة. من المؤكّد أن الباب قد فُتح وأن شخصاً دخل الغرفة. لا، الغرفة خالية وليس فيها أحدٌ سواها، فتوتّرت أعصابها بغتة وشعرت بالخوف.

هَبْ أن شخصاً دخل الغرفة، هَبْ أن برافتشيني تسلّل إلى الداخل بخطواته المتوثّبة السريعة ووقف خلفها ومدّ يديه إلى عنقها وهو يقول: أتعزفين لحن جنازتك أيتها السيدة العزيزة؟

ولكنها هزّت رأسها بعنف كأنها تطرد تلك الأفكار السخيفة. لا شك أن الخيال قد اشتطّ بها؛ فها هي تسمع صفير برافتشيني في الطابق الأوّل، ولا بدّ أنه في تلك اللحظة أيضاً يسمع عزفها. ولكن لا! إنها لا تسمع برافتشيني، إنه لا يصفر! تُرى هل هذا هو الفخّ؟! أليس من المحتمل أن يكون برافتشيني قد كذب حين قال إنه كان يعزف على آلة البيانو وقت حدوث الجريمة وأنه كان في الواقع في غرفة المكتبة حيث خنق السيدة بويل؟ لقد ظهرت عليه دلائل الانفعال والاضطراب حين أسند إليها المفتش تروتر مهمّة العزف على آلة البيانو. تُرى هل خشي أن يشعر تروتر من عزفها أنه، أي برافتشيني، لم

يكن يعزف على آلة البيانو إطلاقاً وقت حدوث الجريمة وبذلك يفتضح كذبه؟

وفي تلك اللحظة فُتح الباب فنظرت مولي خلفها بسرعة وتوقّعت أن ترى برافتشيني وهمّت بأن تصرخ، ولكنها ما لبثت أن تنفّست الصعداء؛ فقد كان القادم هو المفتش تروتر.

❊ ❊ ❊

الفصل السادس عشر

كانت قد فرغت لتوّها من عزف المقطوعة للمرة الثالثة، فقال لها المفتش: شكراً لك يا سيدة دافيز.

وكانت تبدو عليه دلائل الارتياح والنشاط والثقة، ورفعَت مولي أصابعها عن مفاتيح آلة البيانو وسألته: هل توصّلتَ إلى بُغيتك؟

- نعم، توصّلت إلى ما أريد.

- مَن هو؟

- ألا تعرفينه يا سيدة دافيز؟ الأمر واضح كل الوضوح. بالمناسبة، اسمحي لي أن أقول لك إنك حمقاء إلى أقصى حدّ؛ فقد تركتِني أبحث عن الضحيّة الثالثة المنتظَرة، وكانت النتيجة أنك تعرّضت لخطر ماحِق.

فهتفت مولي: أنا؟! أنا لا أفهم ما تعني!

- أعني أنكِ لم تصدُقي معي يا سيدة دافيز. لقد كذبتِ عليّ كما كذبت السيدة بويل.

- أنا لا أفهمك!

- بل تفهمينني جيّداً. عندما حدّثتُكم عن قضية مزرعة لونغريدج كنت أنت تعلمين كل شيء عن تلك القضية. أجل، كنتِ تعلمين بدليل أنك اضطربتِ وتلعثمت، ثم بدليل أنك قلت إن السيدة بويل كانت المسؤولة عن تهجير الأطفال في المنطقة. لقد كنت أنت والسيدة بويل من أهل تلك المنطقة، ولذلك عندما بدأتُ أفكّر فيمن عساه يكون الضحية الثالثة اتجه تفكيري إليك على الفور لأنك كنت تعرفين كل الحقائق عن قضية المزرعة معرفة شخص له صلة بها. نحن معشر رجال الشرطة لسنا من الغباء كما نبدو.

فقالت مولي بصوت خافت: أنت لا تفهمني، فأنا لم أكن أريد أن أتذكّر ذلك الحادث.

فقال وقد تغيّر صوته قليلاً: بل أفهمك تماماً. ألم يكن لقبك قبل الزواج هو ويترايت؟

- بلى، كان هذا هو لقبي قبل الزواج.

- ألستِ أكبر سنّاً مما تزعمين؟ في سنة ١٩٤٠ عندما وقع حادث المزرعة كنت تعملين معلّمة بمدرسة أبيفال، أليس كذلك؟

- أنا لم أكن أعمل معلّمة بمدرسة أبيفال مطلقاً.

- بل كنتِ كذلك.

- أؤكّد لك أنني لم أكن.

- الطفل الذي مات استطاع قبل موته أن يبعث إليك برسالة، حيث سرق طابع بريد وبعث بالرسالة في طلب النجدة؛ بعث بالرسالة إلى معلّمته المحبوبة كي تغيثه وتنقذه ممّا يلقى من العذاب وسوء المعاملة. من أوّل واجبات المعلّمة أن تبحث عن أسباب غياب الطفل ولماذا انقطع عن المدرسة، ولكنك لم تفعلي وتجاهلتِ رسالة الطفل المسكين وصممت أذنيك عن استغاثته!

فصاحت مولي وعيناها تتوهّجان: كفى، كفى! أنت تتكلّم عن أختي؛ فهي التي كانت تعمل في تلك المدرسة وكانت ناظرة المدرسة، وهي لم تتجاهل رسالة الطفل ولم تصمّ أذنيها عن استغاثته، ولكنها أُصيبَت بالتهاب رئوي فلم تتسلّم الرسالة إلاّ بعد وفاة الطفل. كانت رقيقة المشاعر فهزّها الحادث من الأعماق وحزّ في نفسها حتى ماتت حزناً وكمداً، ولذلك حرصتُ دائماً على اجتناب كل ما يذكّرني بالحادث وما ترتب عليه.

قالت ذلك وغطّت وجهها بيديها، وعندما رفعت رأسها بعد ذلك وجدت تروتر يتفرّس فيها ثم قال بهدوء: إذن فقد كانت أختك؟

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة غريبة واستطرد قائلاً: لا بأس... أختك أو أخي، ذلك لا يقدّم ولا يؤخّر.

ثم أخرج من جيبه شيئاً واتّسمت ابتسامته بطابع السعادة والرضا. وحملقت مولي إلى الشيء الذي أخرجه من جيبه فقالت: كنت أظنّ أن رجال الشرطة لا يحملون مسدّسات.

- رجال الشرطة لا يحملون مسدّسات يا سيدة دافيز، ولكنني لست مِن رجال الشرطة. أنا جيم شقيق جورج، الطفل الذي قتلَته قسوة الناس. لقد ظننتِ أنني من رجال الشرطة لأنني اتصلت بك من هاتف بالقرية المجاورة وقلت لك إن المفتش تروتر في طريقه إليكم، وعندما حضرت إلى هنا قطعتُ الأسلاك الهاتفية خارج البيت حتى لا تتمكنوا من الاتصال بمركز الشرطة.

نظرت إليه مولي بدهشة وذهول ورأت المسدّس مصوّباً إليها، وقال لها: لا تتحرّكي، لا تصيحي يا سيدة دافيز وإلا أطلقتُ عليك الرصاص.

كان لا يزال يبتسم، ولاحظت مولي والخوف يملأ قلبَها أنها ابتسامة طفل، كذلك كان صوته عندما تكلّم بعد ذلك كصوت الأطفال. قال: أنا شقيق جورج الذي مات في مزرعة لونغريدج. لقد أرسلَتنا تلك المرأة المقيتة، السيدة بويل، إلى تلك المزرعة، وكانت زوجة المزارع شديدة القسوة علينا. لم يحاول أحد إغاثة الفئران الصغيرة العمياء، فقرّرتُ أن أقتلكم جميعاً عندما أصبح رجلاً، ورسخَت الفكرة في ذهني منذ ذلك الوقت.

ثم قطب ما بين حاجبيه فجأة واستطرد قائلاً: لقد ضايقوني كثيراً في الجيش، ولم يكفّ ذلك الطبيب عن إلقاء الأسئلة إلى أن ضقت ذرعاً فهربت؛ كنتُ أخشى أن يمنعوني من تنفيذ ما عقدتُ عزمي عليه... ولكنني كبرت الآن، والكبار يستطيعون أن يفعلوا ما يريدون.

فجمعت مولي أطراف شجاعتها وقالت لنفسها: يجب أن أتحدّث إليه وأُطيل الحديث وأحاول أن أصرفه عن التفكير في الجريمة.

ثم قالت له بصوت مسموع: أصغِ إليّ يا جيم، يجب أن تعلم أنه لا أمل لك في النجاة.

فاحمرّ وجهه وقال: لقد أخفى بعضهم أدوات الانزلاق.

ثم ضحك فجأة وقال: ولكن لا بأس، هذا المسدّس مسدّس زوجك وقد أخذتُه من دُرج مكتبه، ومتى قتلتك فسوف يعتقدون أنه هو الذي قتلك. وعلى كل حال فالأمر لا يهمّني كثيراً؛ فقد استمتعتُ بدوري إلى أقصى حدّ. كان يجب أن ترَي وجه تلك المرأة في لندن عندما عرفَتني ثم وجه المرأة المَقيتة الأخرى التي ماتت اليوم.

ثم ضحك وأغرق في الضحك. وفي تلك اللحظة طاف بالجوّ صفير هادئ مخيف، فقد كان بعضهم يصفر أغنية «ثلاثة فئران عمياء»، ففزع تروتر واهتزّ المسدّس

في يده.

- انبطحي يا سيدة دافيز!

فانبطحت مولي بسرعة البرق في اللحظة التي برز فيها الميجور متكليف من وراء مقعد على مقربة من الباب وألقى بنفسه على تروتر، فانطلقت من المسدّس رصاصة استقرّت في صورة على الجدار. وما هي إلا لحظة حتى جاء غايلز مسرعاً وفي إثره كريستوفر وبرافتشيني، وأمسك متكليف بتلابيب تروتر وقال بعبارات سريعة مختصرة: لقد تسلّلتُ إلى الغرفة حين كانت السيدة دافيز تعزف على آلة البيانو؛ فقد ارتبتُ في أمره منذ البداية وكنت أعلم أنه ليس شرطياً لأنني شرطي واسمي المفتش تانر. وقد اتفقنا مع الميجور متكليف على أن أحل محلّه هنا لأن اسكتلنديارد قد رأت أنه من الأصوَب أن يكون أحد رجالها على مسرح الأحداث.

ثم التفت إلى تروتر وقال له برفق شديد: هلمّ بنا يا بني، لن يصيبك أذى. سيكون كل شيء على ما يرام وسوف نعنى بك كل العناية.

فسأل تروتر بصوت يثير الشفقة كصوت طفل حائر: ألن يغضب جورج مني؟!

فأجاب متكليف: لن يغضب منك.

ثم همس لغايلز وهو يمرّ به: إنه مجنون تماماً.

وتأبّط ساعد تروتر وخرج به، وهنا قال برافتشيني وهو يتأبط ساعد كريستوفر: وأنت أيضاً يا صديقي تعالَ معي.

وبقيَت مولي وغايلز ينظر كل منهما إلى الآخر، وما هي إلا لحظة حتى ألقى كل منهما بنفسه بين ساعدي الآخر وهتف غايلز: هل أنت بخير يا حبيبتي؟

- نعم يا حبيبي، حمداً لله. لقد انتهى كل شيء، وقد كنت في دوّامة رهيبة وظننت في وقت ما أنك... ولكن حدّثني، لماذا ذهبت إلى لندن في ذلك اليوم؟

- ذهبتُ لشراء هدية لك لمناسبة عيد زواجنا غداً، وأردت أن تكون مفاجأة لك.

- ما أعجب هذا! وأنا ذهبت إلى لندن لنفس الغرض وأردتُ أن أخفي الأمر عنك!

وفي تلك اللحظة فُتح الباب ودخل برافتشيني وقال: يا له من مشهد جميل! ولكن مما يؤسف له أنني جئت أودّعكما؛ فقد استطاعت إحدى سيارات الشرطة أن تشقّ طريقها إلى هنا ووافق المفتش تانر على أن يأخذني معه.

ثم اقترب من مولي وهمس في أذنها قائلاً: إذا جاء ذات يوم طرْد فيه كمّية من الخردل الفرنسي وجوارب النايلون فاعلمي أنه منّي، مع تحياتي لك بالسعادة

والتوفيق. وداعاً أيتها السيدة الفاتنة.

ثم انحنى باحترام وقال وهو يغادر الغرفة: لقد تركتُ على المائدة شيكاً بقيمة الحساب يا سيد دافيز.

فغمغمت مولي وهي لا تكاد تصدّق أذنيها: خردل فرنسي وجوارب نايلون؟! تُرى مَن يكون السيد برافتشيني هذا؟ بابا نويل؟

قال غايلز: أعتقد أنه يعمل في السوق السوداء.

وفي تلك اللحظة أطلّ كريستوفر برأسه من الباب وقال: أرجو ألاّ أكون متطفّلاً، ولكنني شممتُ رائحة شيء يحترق في المطبخ، فماذا يجب أن أفعل؟

فصاحت مولي بهلع: فطائري تحترق!

ثم انطلقت تعدو إلى المطبخ.

* * *

(تمت)